صدى الذات

آلاء الامام الصديق

نسمات الأدب

صدى الذات

آلاء الامام الصديق

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : صدى الذات

المؤلف: آلاء الامام الصديق

غلاف الكتاب: أمانى مراد

موك اب الكتاب: منى وجيه

تنسيق داخلي: منى مجدى

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

الباب الأول

في ركن بعيد من المدينة حيث الأزقة الضيقة تحتضن الأسرار ، وحيث الضوء الخافت لمصابيح الشارع يكشف أكثر مما يخفي .. كانت ليان تجلس في غرفتها الصغيرة تتأمل السقف بعينين شاردتين.

تلك اللحظة لم تكن مجرد استراحة بل كانت امتدادًا لصراع داخلي طويل سؤال لم تجد له إجابة بعد : "من أنا؟"

لم تكن ليان مجرد فتاة عادية ، على الأقل ليس في نظرها .. حياتها كانت عبارة عن سلسلة من التناقضات بين ما تريد أن تكونه وما يُفرض عليها أن

تكونـــه ، نشـــأت فـــي أســـرة لـــم تكـــن تعـــرف كيـــف تـــدعمها ، لـــم تكـــن قاســـية لكنهـــا لـــم تكـــن دافئـــة أيضًـــا ، كـــل شـــيء كـــان يُـــدار وفـــق قواعـــد غيـــر مكتوبـــة ، غيـــر قابلـــة للنقـــاش وكأنهـــا قـــوانين مقدســـة لا يمكـــن كسرها.

فـــي المدرســـة كانـــت ليـــان الفتـــاة الهادئـــة التـــي يراهـــا الآخـــرون منعزلـــة ، بينمـــا كانـــت فـــي الحقيقـــة غارقـــة فـــي أفكارهـــا لـــم يكـــن الانطـــواء خيارهـــا لكنـــه كـــان رد فعـــل طبيعـــي علـــى عـــالم لـــم يمنحهـــا مســـاحة كافية للتعبير.

حتـــى صـــديقاتها القلـــيلات كـــن يرينهـــا غريبـــة الأطـــوار ، تحـــب قـــراءة الكتـــب التـــي

لا يفهمونها وتطرح أسئلة لا يهتم بها أحد.

وفي ذلك المساء ، كانت تمسك بكتاب وجدته مصادفة بين كتب والدها القديمة صفحاته مهترئة لكن الكلمات فيه كانت تنبض بالحياة ، قلبت صفحاته ببطء حتى وقعت عيناها على جملة جعلت أنفاسها تتسارع :

-"ليان ، من لا يجد طريقه بين الحيرة لن يعرف معنى اليقين."

تجمدت أصابعها على الصفحة وكأن الكلمات تتحدث إليها مباشرة.

هل كان ذلك مجرد صدفة؟ أم أن هذا الكتاب كان ينتظرها منذ زمن؟ شعرت بقشعريرة تسري في جسدها ، وكأنها

أمـــام بدايـــة شـــيء لـــم تفهمـــه بعـــد ، شـــيء أكبر من مجرد مصادفة.

تـــرددت للحظـــات ثـــم قلبـــت الصـــفحة التاليـــة تبحـــث عـــن المزيـــد ، لكـــن عنـــدها ســـمعت صـــوتًا غريبًـــا خـــارج غرفتهـــا رفعـــت رأســـها بـــبطء .. قلبهـــا يخفـــق بشـــدة لـــم يكـــن هنـــاك أحـــد فـــي المنـــزل غيرهـــا أو هكـــذا كانـــت تظـــن ، تقـــدمت نحـــو البـــاب بحـــذر وضـــعته يـــدها علـــى المقـــبض وتوقفـــت .. هـــل تفتحه؟

كانـــت تلـــك أول خطـــوة نحـــو طريـــق لـــم يكـــن له عودة.

***

الفصل الثاني

الباب الذي لا يُفتح

ظلّت ليان واقفة أمام الباب ، يدها فوق المقبض لكن أصابعها لم تتحرك ، كان الشعور بالرهبة يزداد كأن الباب ليس مجرد قطعة خشب تفصل بين غرفتين بل حاجز بين عالمين ، شعرت وكأن شيئًا ما في أعماقها يعرف أن ما وراء هذا الباب لن يكون عادياً كأنه سيتطلب منها أن تنظر إلى شيء لم تكن مستعدة لرؤيته بعد.

"لماذا أتردد؟ إنه مجرد باب .. أليس كذلك؟"

لكن عقلها لم يقتنع بهذه الفكرة البسيطة.

هنـــاك نـــوع معـــين مـــن الصـــمت حـــين يكـــون العـــالم نائمًـــا ، صـــمتٌ يجعـــل كـــل شـــيء يبـــدو أكثر وضوحًا .. أكثر ثقلاً.

أغمضـــت عينيهـــا للحظـــة متجاهلـــة الصـــوت الـــذي ســـمعته ســـابقًا ، محاولـــة إقنـــاع نفســـها بأنـــه مجـــرد وهـــم أو ربمـــا صـــوت الريح لكن قلبها لم يهدأ.

ابتعـــدت عـــن البـــاب بـــبطء عائـــدة إلـــى ســـريرها ، دفنـــت وجههـــا فـــي الوســـادة لكـــن صـــوت أنفاســـها المتـــوترة كـــان يرتـــد داخـــل رأسها كأنه يرفض أن يُطمس.

تـــذكرت الكتـــاب الـــذي وجدتـــه فـــي المكتبـــة القديمـــة ، الكتـــاب الـــذي لـــم يكـــن يحمـــل عنوانًـــا واضـــحًا وكـــأن مؤلفـــه أراد أن يتركـــه بـــدون هويـــة ، بـــلا قيـــد قلبـــت

صـــفحاته وعـــادت إلـــى الجملـــة التـــي استوقفتها سابقًا :

"مـــن لا يجـــد طريقـــه بـــين الحيـــرة ، لـــن يعرف معنى اليقين."

شـــعرت أن الجملـــة تخاطبهـــا مباشـــرة كأنهـــا رســـالة مخبـــأة بـــين الســـطور تنتظـــر أن تفهمهـــا لكنهـــا لـــم تفهـــم شـــيئًا بعـــد ، ولـــم تكن متأكدة من أنها تريد الفهم الآن.

اســـتلقت تحـــاول النـــوم لكنهـــا كانـــت تشـــعر أن الغرفـــة ليســـت كمـــا كانـــت قبـــل دقـــائق كـــأن الهـــواء أصـــبح أثقـــل ، أو أن الجـــدران اقتربت قليلاً.

ثـــم اســـتيقظت علـــى صـــوت خافـــت ، لـــم يكـــن واضـــحًا لكنـــه كـــان موجـــودًا ، لـــم يكـــن مجـــرد صـــوت عـــابر بـــل كـــان أشـــبه بهمســـة وكـــأن

أحـــدهم يتحـــدث فـــي غرفـــة مجـــاورة لكـــن لا أحد كان هناك.

جلســـت بســـرعة ، قلبهـــا يخفـــق .. نظـــرت حولهـــا كـــل شـــيء فـــي مكانـــه لكـــن ذلـــك لـــم يطمئنهـــا ، التفتـــت نحـــو البـــاب كـــان مغلقًـــا كما تركته.

ولكـــن كـــان هنـــاك شـــيء مختلـــف ، لـــم تكـــن متأكـــدة ممـــا تغيـــر لكـــن حدســـها كـــان يصـــرخ أن هناك شيئًا ليس كما كان.

نهضـــت مـــن ســـريرها بـــبطء ، قـــدماها العاريتـــان لامســـتا الأرض البـــاردة ممـــا جعـــل جســـدها يرتجـــف ، لـــيس فقـــط مـــن البـــرد بـــل مـــن التـــوتر أيضًـــا ، مشـــت نحـــو البـــاب بحـــذر أنفاســـها متقطعـــة ثـــم صـــدر صـــوت آخـــر لـــم يكـــن همسًـــا هـــذه المـــرة بـــل

كان أشبه بحركة كأن شخصًا ما يقف خلف الباب ينتظرها ، حبست أنفاسها لم تجرؤ على الحركة ، كل خلية في جسدها كانت تصرخ بأنها يجب أن تهرب لكن قدميها لم تتحركا .. ثم وببطء شديد ، تدوّر المقبض من تلقاء نفسه لم تلمسه ، لم تقترب منه حتى لكنه تحرّك شعرت برعشة تسري في جسدها بالكامل ، وارتجفت يداها وهي تضعهما على صدرها في محاولة للسيطرة على أنفاسها المتسارعة ، هل تفتحه الآن؟

أم تتركه مغلقًا إلى الأبد؟

لكن السؤال الأهم الذي لم تستطع تجاوزه : "ماذا لو لم يكن هناك شيء خلفه؟ أو الأسوأ ماذا لو كان هناك شيء؟"

***

الفصل الثالث

الطريق الذي لا عودة منه

ليـــان شـــعرت أن الوقـــت قـــد توقـــف لحظـــة كانـــت عيونهـــا متســـقة علـــى البـــاب الـــذي بـــدأ يتحـــرك بـــبطء ، غيـــر قـــادر علـــى فهـــم مـــا يحـــدث ، كانـــت كـــل خطـــوة تقتـــرب منهـــا أكثـــر كأنهـــا تتخـــذها إلـــى مكـــان لا يمكـــن العـــودة منـــه ، هـــل كانـــت تقـــرأ مـــا بـــين الســـطور بطريقـــة خاطئـــة؟ هـــل هـــذا كلـــه مجرد فخ؟

"لمـــاذا يفتحـــه الآن؟" كـــان الســـؤال الـــذي يحـــوم فـــي رأســـها دون إجابـــة ، قلبهـــا يضـــرب بقـــوة ، والـــدماء تتـــدفق فـــي عروقهـــا بســـرعة وكـــأن كـــل شـــيء كـــان

يتسارع داخلها ، كل نبضة أقوى من سابقتها.

فتحت الباب قليلاً ، شعرت أن يديها ثقيلة كما لو كانت تُجبر على فعل شيء أكبر منها ، فتحته أكثر.

وراءه ، كان الظلام يعم المكان ، ومع ذلك شعرت بشيء غريب يسحبها إلى الداخل ، ليس بسبب الفضول فقط بل شيء أعمق ، شيء في روحها يشعر بأنه يحتاج إلى دخول هذا المكان ، كان هناك شيء في داخلها يقول لها أنها كانت تبحث عن هذا ، طوال حياتها.

"ماذا لو كان مجرد قاعة فارغة؟" ترددت في قلبها "ماذا لو كانت هذه مجرد خدعة؟"

أخـذت خطـوة أخـرى إلـى الأمـام متجـاوزة حـدود الأمـان التـي كانـت تلتصـق بهـا كلمـا اقتربـت مـن المجهـول ، وفـي اللحظـة التـي عبـرت فيهـا عتبـة البـاب شـعر جسـمها كلـه وكأنهـا تـدخل فـي بعـد آخـر بعيـداً عـن عالمهـا المعتـاد ، كـان الظـلام مليئًـا بنـوع مـن السـرية ، وكـل زاويـة فـي المكـان تثيـر في نفسها تساؤلات عميقة.

ليـان حركـت قـدميها برفـق محاولـة توجيـه أنظارهـا إلـى مـا حولهـا ، لـم تكـن تـرى شـيئًا واضـحًا لكـن حسـها الـداخلي كـان يصـرخ لهـا بـأن هنـاك شـيء مـا فـي هـذا المكان .. شيءٌ يجب أن تراه.

-"من هنا يبدأ كل شيء."

قال صوت خافت في ذهنها :

-"إذا أردت أن تفهمـــــــــي ، عليـــــــك أن تغامري."

لكـــن المغـــامرة لـــم تكـــن مجـــرد خطـــوة فـــي هـــذا المكـــان المظلـــم ، كانـــت بدايـــة لفهـــم آخر .. بداية لفهمها هي نفسها.

تقـدمت أكثـر لكنهـا لـم تسـتطع تصـديق أنهـا هنـــا الآن ، كـــان هنـــاك شـــيء غريـــب فـــي الهـــواء، ضـــباب خفيـــف يطـــوف فـــي الأرجـــاء وكـــأن المكـــان لـــيس حقيقيًـــا ، ثـــم شـــعرت بشـــيء غريـــب يلمـــس جســـدها شـــعور كـــأن الهـــواء نفســـه يتغيـــر ليصـــبح أكثر كثافة.

"أريـــد أن أرحـــل." همســـت ليـــان فـــي نفســـها لكـــن قـــدميها لـــم تســـمحا لهـــا بـــالرجوع شـــيء مـــا دفعهـــا للأمـــام وكأنهـــا لا تســـتطيع

التراجع ، كأن هناك شيئًا أهم من خوفها ينتظر ، ثم وسط السكون أدركت أنها ليست وحدها .. أصوات خافتة همسات أوضح الآن وكأنها آتية من جميع الاتجاهات.

سارعت ليان نحو الصوت ، قلبها يرتجف ثم وجدت نفسها أمام جدار آخر جدار غير مرئي تقريبًا في الظلام لكنه بدا كخط فاصل بين عالمين ، كان هنا شيء غير مرئي يحاول أن يوقفها يحاول أن يمنعها من إتمام ما بدأت به.

"هل هذا حقيقي؟" تساءلت ليان عيونها تغلق وتفتح في محاولة لفهم ما حولها.

كانت هناك ذكريات تطفو على السطح صوراً واضحة في عقلها ، رؤى غير مفهومة لكنها شعرت بأنها كانت تتنقل عبر الزمن ، أو ربما عبر عوالم غير مرئية.

"ما الذي يحدث هنا؟" كان السؤال الذي يدور في ذهنها.

ثم شيئًا ما في قلبها أدركت أنه كان عليها الاستمرار ، كانت الجدران المظلمة التي حاولت أن تعترض طريقها ليست سوى انعكاس لما في داخلها كانت هي ، كانت هي من تبني جدرانًا من خوف ، وهي من ستهدمها.

بخطوة ثابتة تخطت الجدار غير المرئي وعينيها كانت مليئة بالعزم رغم التوتر

الـذي كـان يضـغط علـى قلبهـا ، فـي اللحظـة التـي عبـرت فيهـا الجـدار ، وجـد نفسـها فـي غرفـة صـغيرة ولكـن هـذه المـرة كانـت مختلفـة .. الغرفـة لـم تكـن فارغـة ، كانـت مليئـة بكلمـات .. بالكلمـات التـي كانـت بحاجـة لسـماعها ، كلمـات ربمـا تحتـوي على إجابات.

علـى الحـائط كانـت هنـاك جملـة مكتوبـة بخط يد قديم :

"كلمـا اقتربـت مـن الحقيقـة ، ابتعـدت عـن نفسك."

"مـاذا تعنـي هـذه الجملـة؟" تسـاءلت ليـان بصوت منخفض.

وكـان السـؤال فـي قلبهـا لا يقـل عـن الجـواب المطلـوب ، كانـت تقتـرب مـن

شـــيء أكبـــر .. شـــيء لـــم تكـــن جـــاهزة لـــه تمامًا لكنها كانت مضطرة لمواجهته.

أخـــذت نفسًـــا عميقًـــا ، وابتعـــدت عـــن الحـــائط قلـــيلاً محاولًـــة فهـــم الجملـــة ، كانـــت هنـــاك شـــعور قـــوي فـــي قلبهـــا بـــأن الإجابـــة عـــن ســـؤالها الأكبـــر موجـــودة هنـــا فـــي هـــذا المكـــان الغريـــب ، ولكـــن لمـــاذا هنـــا؟ ولمـــاذا الآن؟ كـــان ذلـــك هـــو الســـؤال الـــذي بـــدأ يثقـــل قلبها أكثر.

"من أنا؟"

كانـــت الإجابـــة تقتـــرب رغـــم أنهـــا لـــم تكـــن تعـــرف كيفيـــة العثـــور عليهـــا ، كانـــت علـــى حافـــة الـــوعي ، علـــى حافـــة شـــيء لا يمكـــن تفســـيره بكلمـــات ، كـــل شـــيء كـــان يتـــداخل الآن ، بـــين مـــا تعرفـــه ومـــا لا تعرفـــه ، بـــين

الحاضـــــر والماضـــــي بـــــين الحقـــــائق والأوهام.

فـــي النهايـــة أدركـــت ليـــان شـــيئًا غريبًـــا ربمـــا كـــان هـــذا هـــو الطريـــق الـــذي بـــدأت فيـــه لتكتشـــف نفســـها ، الطريـــق الـــذي يجـــب أن تســـلكه دون أن تعـــرف تمامـــاً إلـــى أيـــن ســـيقودها ، لكنهـــا كانـــت تعلـــم شـــيئًا واحـــدًا لا مفر من المرور عبر هذا الباب.

***

الفصل الرابع

في عمق الهاوية

لم تكن ليان تعرف إلى أين تتجه ، كانت قد عبرت الباب ، وها هي الآن في عالم آخر أو ربما هو عالمها الذي اكتشفته فقط الآن ، الغرفة الصغيرة التي دخلتها كانت مليئة بالكلمات ولكن لم يكن هناك ما يشرح ذلك ، كانت الكلمات تتناثر على الجدران وكأنها محاولات لإيصال شيء كان يجب أن يُفهم منذ زمن طويل ومع ذلك كانت ليان تشعر بأن هناك شيء مفقود ، شيء غير مكتمل في الصورة التي أمامها.

"لماذا كل هذا؟ لماذا الآن؟" همست ليان لنفسها .. شعورٌ غريب يزداد داخلها

كلما نظرت إلى الجمل التي كانت تملأ المكان.

كانت الجمل توحي بحكمة عميقة لكنها في نفس الوقت كانت تثير الحيرة. "

ألم أكن أبحث عن شيء أبسط من هذا؟"

مرّت يديها على الجدران المملوءة بالكلمات وكان هناك إحساس غريب وكأنها كانت تلامس شيئًا في عمق قلبها شيئًا كانت قد نسيته أو لم تجرؤ على التعمق فيه ، ثم لاحظت شيئًا غريبًا كان هناك كتاب ضخم مرمي على الأرض في زاوية الغرفة ، لم يكن كأي كتاب عرفته من قبل ، كان يبدو قديمًا جدًا وكأن الزمن قد مر عليه لعدة قرون غلافه كان مغطى بالغبار ، وعليه

علامات وأشكال غريبة ، شيء في هذا الكتاب جذب انتباهها بشكل غريب وكأن الكتاب هو الجواب الذي كانت تبحث عنه طوال الوقت.

"ربما هذا هو ما يجب أن أفعله". قالت ليان في نفسها وهي تقترب من الكتاب ببطء.

أخذت الكتاب بين يديها بحذر كما لو كانت تتعامل مع شيء مقدس ، فتحته بعناية وعينيها تتبع الكلمات التي كانت مكتوبة في الصفحة الأولى.

"في كل خطوة تقطعها ، هناك جزء منك يختفي ، جزء آخر يظهر .. تلك هي طريق الحقيقة."

تجمدت ليان للحظة ، الكلمات كانت ثقيلة وكأنها تحمل معها عبئًا غير مرئي لكن في قلبها كان هناك شيء أعمق يتساءل: "هل هذا ما كنت أبحث عنه؟"

أغمضت عينيها للحظة مستشعرة المكان من حولها ثم فتحتها مرة أخرى لتكمل القراءة ، كانت الكلمات تتساقط من صفحات الكتاب وكأنها طوفان عاطفي.

"الحقيقة لا تأتي بسهولة لكنها لا تختبئ أيضًا ، هي أمامك دائمًا لكنك لا تراها لأنك مشغول بالبحث في كل مكان سوى في داخلك."

كانت ليان تشعر بأن الكتاب كان يعكس ما كان داخلها ، كانت هذه الكلمات

تتحدث عنها ، عن صراعها الداخلي عن بحثها عن شيء لا تعرفه بعد.

"هل كنت أبحث عن نفسي طوال هذا الوقت؟" تساءلت ليان بصوت مرتفع.

كان الكتاب لا يعرض فقط إجابات على أسئلتها بل كان أيضًا يعرض أسئلة جديدة ، أسئلة أعقد من التي كانت في ذهنها من قبل ، كان الكتاب يشير إلى أن ليان كانت تنكر جزءًا منها ، جزءًا كانت خائفة من مواجهته.

ثم انتبهت ليان إلى أن هناك شيء غير عادي في الكتاب ، لم تكن الكلمات مجرد نصوص بل كانت تتغير مع كل صفحة تقلبها ، كانت الكلمات تتحرك أمام عينيها وكأنها تتحدث مباشرة إليها

تنبئهـــا بأشـــياء كانـــت قـــد أدركتهـــا فـــي أعماقهـــا ولكنهـــا لـــم تجـــرؤ علـــى مواجهتهـــا بعد.

"إذا أردت أن تجـــد نفســـك يجـــب أن تتقبـــل كـــل جـــزء منـــك ، حتـــى الأجـــزاء التـــي تخـــاف منهـــا ، حتـــى الأجـــزاء التـــي تظـــن أنـــك لـــن تستطيع العيش معها."

كانـــت هـــذه الكلمـــات كالصـــاعقة علـــى قلبهـــا وكـــأن الكتـــاب كـــان ينكشـــف لهـــا شـــيئًا كانـــت تـــرفض أن تدركـــه : إنهـــا لـــم تكـــن تقبـــل نفســـها بالكامـــل ، كانـــت تهـــرب مـــن أجـــزاء منهـــا ، مـــن جـــروح قديمـــة مـــن لحظـــات ضعفت فيها.

أخـــذت نفسًـــا عميقًـــا وقـــررت أن تتحـــدى نفسها.

"أنا مستعدة لمواجهة كل شيء." قالت ذلك لنفسها بصوت مسموع ثم أغلقت الكتاب فجأة.

"ما الذي علي أن أفعله الآن؟"

في تلك اللحظة ، شعر قلبها بشيء غريب ، كان نوعًا من التغيير، كان هناك شيء في داخلها قد بدأ يتحول ، كان جزء منها قد بدأ يقبل نفسه كما هو كانت على وشك اكتشاف شيء أعظم شيء كان يجب أن تراه طوال الوقت ولكن كما لو كانت محاصرة بين عالمين فكرت ليان في اللحظة التالية : "هل أنا مستعدة حقًا لذلك؟"

في الوقت الذي كانت تستعد فيه لمغادرة الغرفة .. وقع شيء ما على الأرض

كان شيئًا ثقيلًا وقع من مكان مرتفع تردد الصوت في الغرفة ، وكان صدى قويًا وكأن الصوت يأتي من مكان بعيد جدًا.

-"من هنا .. من هنا تبدأ الرحلة الحقيقية." قالت ليان بصوت مرتفع موجهة نفسها نحو المجهول ، كانت تعلم أن الطريق لم يكن سهلًا لكنها كانت مستعدة له ، ثم أغلقت عينيها للمرة الأخيرة وأخذت خطوة أخرى إلى الأمام.

***

الفصل الخامس

الصراع الداخلي

مـرت الأيـام بسـرعة لكـن ليـان كانـت تشـعر بـأن الوقـت قـد توقـف مـن أجلهـا ، كلمـا فكـرت فـي الكتـاب الـذي قرأتـه كانـت تشـعر أن شـيئًا غيـر مرئـي يجـذبها إلـى عـالم غريـب ، عـالم ملـيء بالأفكـار والحقـائق المخبـأة كـل كلمـة كانـت تتـردد فـي ذهنهـا كـل جملـة كانـت تلتصـق بـذاكرتها وكأنهـا تسكن أعماق قلبها.

"إذا أردت أن تجـد نفسـك يجـب أن تتقبـل كل جزء منك."

لـم تسـتطع التوقـف عـن التفكيـر فـي هـذه الكلمـات ، كانـت تشـعر أن هنـاك شـيءًا عميقًـا داخلهـا يتغيـر لكـن فـي نفـس الوقـت

كانت تواجه صراعًا داخليًا ، هل هي مستعدة حقًا لقبول كل شيء في نفسها؟ هل هي قادرة على مواجهة كل الظلال التي تخشاها؟

كانت تعيش في حالة من التردد، بين الماضي الذي كانت تحاول الهروب منه، والحاضر الذي كان يفرض نفسه عليها، لكن الأكثر إزعاجًا لها كان المستقبل، الذي كان مجهولًا بكل ما فيه.

في أحد الأيام، وبينما كانت تجلس وحدها في غرفتها الصغيرة، شعرت بشيء غريب، كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وكانت الغرفة غارقة في الظلام، فقط ضوء القمر كان يتسلل من النافذة ليخلق ظلالًا عميقة على

الجـــدران، كـــان هنـــاك صـــوت خافـــت فـــي أذنهـــا، صـــوت يشـــبه همســـات بعيـــدة وكـــأن شيئًا ما يحاول الوصول إليها.

"ليان..."

كانـــت الكلمـــة تكـــرر نفســـها بـــل كانـــت تتـــردد فـــي كـــل زاويـــة مـــن زوايـــا عقلهـــا، كانـــت ليـــان تعلـــم أن هـــذا الصـــوت لـــيس عاديًـــا، كـــان يحمـــل معهـــا ســـؤالًا، ســـؤالًا كانـــت تهرب منه منذ وقت طويل.

"من أنتِ؟"

أغمضـــت عينيهـــا بشـــدة محاولـــةً الـــتخلص مـــن الصـــوت فـــي رأســـها لكنهـــا كانـــت تعـــرف أن الهـــروب لـــن ينقـــذها ، كانـــت بحاجـــة إلـــى الإجابة .. إلى معرفة الإجابة.

"مـــن أنـــا؟" همســـت ليـــان لنفســـها وهـــي تفتح عينيها ببطء.

كـــان الســـؤال يتـــردد فـــي قلبهـــا كمـــا لـــو كـــان يصـــرخ فـــي وجههـــا ، لـــم يعـــد هنـــاك مكـــان للهـــروب بعـــد الآن .. كـــان عليهـــا أن تواجـــه نفسها وأن تكتشف من هي حقًا.

فـــي تلـــك اللحظـــة شـــعرت بشـــيء غريـــب يلمـــس قلبهـــا وكـــأن الضـــوء الـــذي تســـلل عبـــر نافـــذتها قـــد أصـــبح أكثـــر ســـطوعًا تحركـــت نحـــو نافـــذتها وضـــغطت يـــديها علـــى الزجاج البارد.

كانـــت تنظـــر إلـــى الســـماء المظلمـــة ، وتفكـــر فـــي الرحلـــة التـــي بـــدأت فيهـــا منـــذ أن دخلـــت ذلك الباب الغامض.

-"لقد بدأت رحلتي في عمق نفسي."

قالت ليان بصوت يملؤه التردد والقلق.

لكن مع كل كلمة كانت تهمس بها ، كان هناك شعور جديد ينمو داخلها ، شعور بالسلام الداخلي وكأنها كانت تقترب من حقيقة كانت تخاف منها ، الحقيقة التي تقول إن لها القدرة على التغيير على النمو ، على الشفاء.

في ذلك اللحظة شعرت بشيء قوي يربطها بالأرض والسماء معًا كأنها جزء من الكون بأسره .. كانت تعرف أن هذا الشعور هو البداية فقط وأن رحلتها نحو الذات لم تنتهِ بعد ، ولكن كما هو الحال مع أي رحلة ، كان هناك المزيد من التحديات التي ستواجهها ، المزيد من

الأســـئلة التـــي ســـتظهر، والمزيـــد مـــن الظلال التي ستحتاج إلى مواجهتها.

"لابــد أننـــي مســتعدة." قالــت ليــان وأخــذت خطوة أخرى نحو المجهول.

بــدأت تتســلل إليهــا أفكــار جديــدة ، أســئلة أخــرى عــن نفســها وعــن العــالم مــن حولهــا هــل هــي قــادرة علــى البقــاء علــى هــذا الطريـــق؟ هـــل ستســـتطيع أن تواجـــه الحقيقــة الكاملــة عــن نفســها؟ أم ســتبقى عالقــة فــي هــذا الصــراع الــداخلي الــذي لا ينتهي؟

لــم تكــن تعــرف الإجابــة بعــد ولكــن شــيئًا واحدًا كان مؤكدًا :

كانــت قــد بــدأت رحلتهــا وبــدأت فــي اكتشاف ما يعنيه أن تكون "ليان".

الفصل السادس

الظلال تهمس باسمي

كانت ليان تشعر وكأنها تتحرك داخل دائرة مغلقة ، كأن الأزقة الضيقة التي تسير فيها تتكرر بلا نهاية ، منذ أن وجدت ذلك الكتاب لم تعد الأمور كما كانت ، لم تكن تفهم تمامًا ما يحدث لكنها شعرت بأن هناك شيئًا يتغير في داخلها ، شيء لم تستطع تسميته بعد.

الليلة كانت مختلفة الهواء كان أكثر برودة مما ينبغي ورائحة الأرض بعد المطر كانت تمتزج بشيء غريب كأنها تفتح أبوابًا غير مرئية في الذاكرة تابعت السير خطواتها صارت أبطأ دون أن تدرك السبب ، شعرت بأن هناك شيئًا

يراقبها .. ليس بنظرات عادية بل كأن الهواء نفسه كان يتهامس باسمها.

توقفت أمام مرآة زجاجية كبيرة في أحد الشوارع لكنها لم ترَ انعكاسها بوضوح.

الضوء كان خافتًا والانعكاس كان مضطربًا كأنه ظل مهتز فوق سطح الماء، اقتربت أكثر فشعرت بقشعريرة تسري في جسدها، وجهها كان هناك لكنه لم يكن لها وحدها.

ظهرت خلفها ظلال مبهمة ، لم تكن تعرف إن كانت حقيقة أم انعكاسًا مشوهًا لكنها كانت تهمس ، همسات غير مفهومة ، إلا أن كلمة واحدة خرجت بوضوح شديد كأنها انغرست داخل

وعيها : "ليان ، هل تعرفين من أنتِ حقًا؟"

اتسعت عيناها ، شعرت بقبضة باردة تلتف حول صدرها .. تراجعت خطوة للخلف لكن صوت الهمس تكرر هذه المرة كأنه ينبعث من داخلها لا من المرآة.

ارتجفت لم تعرف هل كان ذلك محض وهم أم أن شيئًا ما كان يحاول جذبها إلى عالم آخر ، عالم لم تكن مستعدة له بعد.

استدارت مبتعدة لكنها شعرت بأن السؤال بدأ يلاحقها في كل مكان ، هل كانت مجرد أوهام؟ أم أن الحقيقة التي تبحث عنها بدأت بالكشف عن وجهها الغامض؟

الفصل السابع

باب لا يفتح إلا لمن يجرؤ على السؤال

الأيام التالية لم تكن كافية لتبعد عن ليان الإحساس الغريب الذي تركه ذلك الهمس كأن السؤال الذي سمعته لم يكن مجرد كلمات عابرة بل مفتاحًا لباب لم تعلم بوجوده أصلاً.

عادت إلى غرفتها ، جلست أمام المكتب وأخذت تقلّب صفحات الكتاب الذي وجدته لكن الكلمات فيه كانت غامضة كأنها مكتوبة بلغة يفهمها القلب قبل العقل ، كان هناك مقطعٌ جذب انتباهها أكثر من غيره:

"حين يسأل الإنسان نفسه السؤال الحقيقي تنفتح الأبواب التي لم يكن يدرك وجودها."

أغلقت الكتاب بعصبية ، وشعرت بأن أنفاسها تتسارع ، لماذا تشعر وكأن هذا الكلام مكتوب لها تحديدًا؟ لماذا تشعر بأنها على وشك الدخول في شيء لا رجعة منه؟

لكن السؤال لم يتركها لحظة كأن العالم من حولها بدأ يتجاوب معه بطرق لم تكن تتوقعها.

في إحدى الليالي وبينما كانت تسير في الشارع نفسه الذي وجدت فيه المرآة شعرت بشيء مختلف الطريق كان هادئًا بشكل غريب ، الهواء مشحون بطاقة

خفيــة والأنــوار الخافتــة تلقــي بظــلال غيــر مفهومة على الجدران.

رأت بابًــا لــم يكــن موجــودًا مــن قبــل لــم يكــن بابًــا عاديًــا بــل كــان كأنــه جــزء مــن الفــراغ نفســه كأنــه لــم يُــبنَ بــل ظهــر فجــأة اســتجابة لشــيء مــا بــداخلها ، كــان خشــبه قــديماً منحوتًــا عليــه رمــوز لا تســتطيع تفســيرها لكنهــا عرفــت شــيئًا واحــدًا هــذا البــاب لــيس كأي باب آخر.

تقــدمت نحــوه بــبطء ، ورفعــت يــدها لــتلمس الخشــب البــارد ، ومــا إن لامســته حتــى شــعرت وكــأن موجــة مــن الــذكريات اجتاحــت عقلهــا ، ذكريــات لــم تكــن لهــا ، أو ربما كانت جزءًا من وعيها المنسي.

رأت لمحات سريعة :

طفلة صغيرة تنظر إلى السماء بتساؤل.

غرفة مليئة بالكتب ، وصوت يهمس بأفكار غامضة.

يدٌ تمتد نحو الظلام ، تبحث عن شيء لا يُرى.

سحبت يدها بسرعة وتراجعت خطوة للخلف لكن الباب لم يكن قد انتهى منها بعد.

كان هناك صوت ليس همسًا هذه المرة بل شيء أعمق كأن الجدران نفسها تتحدث :

-"هذا الباب لا يفتح لمن يبحث عن الإجابات بل لمن يجرؤ على طرح السؤال الحقيقي."

تسارعت أنفاسها ، شعرت بقلبها ينبض بقوة لكن عقلها كان يهمس بشيء واحد:

"ما هو سؤالي الحقيقي؟"

اللحظة التي أدركت فيها أن هذا هو السؤال الذي يجب أن تسأله ، اهتز الباب قليلًا وكأن شيئًا ما في داخله استجاب

لكنها لم تفتحه بعد ، كان عليها أن تكون مستعدة.

***

الفصل الثامن

كشف الستار عن الماضي المظلم

ليلة أخرى ، والمدينة تكاد تكون ساكنة كما لو أن الزمن نفسه قد تجمد في تلك اللحظة ، ليان كانت تتنقل داخل شقتها بحركة غير حاسمة ، خطواتها تاهت في البحث عن إجابة لسؤال بات يلح عليها بشدة : "من أنا؟"

كانت تشعر بثقل السؤال وكأن الأرض بأكملها تسحبها نحو أعماق غير مرئية حيث لا ضوء ولا دليل يرشده ، الأيام الأخيرة كانت بمثابة دوامة من التشويش والمشاعر المتناقضة ، ظلت تسأل نفسها وتعود إلى نفس النقطة دون أن تجد جوابًا يريحها ، لكن هناك

شـــيء آخـــر كـــان يضـــغط علـــى صـــدرها شـــيء لـــم يكـــن بإمكانهـــا نفيـــه أو الهـــروب منـــه ، كـــان ذلـــك البـــاب الـــذي ظهـــر فجـــأة والـــذي أصـــبح كـــالخيط الرفيـــع الـــذي يربطهـــا بشـــيء أعمـــق فـــي نفســـها ، كـــان ثقـــلًا غيـــر مرئـــي علـــى قلبهـــا وجـــذبًا غيـــر مرئي نحو المجهول.

فـــي تلـــك اللحظـــة ، شـــعرت بشـــيء جديـــد كـــان كأنهـــا ســـمعت همسًـــا أو ربمـــا كـــان صـــوتًا داخليًـــا ينبعـــث مـــن أعماقهـــا يهمـــس: "لـــن تجـــدي إجابـــة حتـــى تعـــودي إلـــى حيـــث بدأ كل شيء."

تجمـــدت ليـــان فـــي مكانهـــا وكـــأن الـــزمن قـــد توقـــف لحظـــة ، كانـــت كلمـــات ذلـــك الصـــوت تعنـــي شـــيئًا لـــم تكـــن مســـتعدة لاســـتقباله بعـــد.

كانت تعرف أن "العودة" لا تعني مجرد العودة إلى مكانٍ مادي بل كانت تشير إلى رحلة أعمق في الزمان والمكان رحلة لا تعرف عنها شيئًا.

بعد تفكير طويل قررت أن تعود إلى ذلك المكان ، المكان الذي جاء منها كل شيء الطفولة ، الذكريات .. الأسئلة التي كانت تُطوى في قلبها منذ زمن طويل.

***

في اليوم التالي

غادرت ليان شقتها متوجهة إلى ذلك المكان الذي طالما حاولت نسيانه ، كان قلبها ينبض بشدة وعقلها مليء بالشكوك والتساؤلات .. المكان كان هو نفس الحي الذي نشأت فيه .. الحي الذي

شعرت فيه بالعزلة ، الذي اختبأت فيه وراء جدرانه محاولة الهروب من عالم كان يبدو أكثر قسوة من أن تتحمله.

لكن اليوم كان مختلفًا ، كانت أشعة الشمس تغمر الشوارع الضيقة بطريقة دافئة ، والألوان كانت أكثر إشراقًا مما تذكرت.

ربما كانت رؤيتها قد تغيرت ، أو ربما كان المكان يعكس التغيير الذي يطرأ على داخلها.

تجولت بين الأزقة القديمة التي كانت تتنقل فيها يومًا بعد يوم ، كل ركن هنا كان يحمل ذكرى ما ، كل جدار كان يشهد على جزء من حياتها وتحت

إصـــرارٍ غريـــب وجـــدت نفســـها تقـــف أمـــام منزلها القديم.

كانـــت أبـــواب المنـــزل مغلقـــة والنوافـــذ مغلقـــة تمامًـــا كمـــا كانـــت أيـــام الطفولـــة ، لـــم يعـــد أحـــد يعـــيش هنـــا الآن لكـــن ليـــان شـــعرت بشـــيء غريـــب فـــي الهـــواء كـــأن هنـــاك شـــيئًا غيـــر مرئي يراقبها.

تقـــدمت خطـــوة خطـــوة نحـــو البـــاب وأمســـكت بـــالمقبض البـــارد ، كـــان البـــاب يبـــدو عاديًـــا لكـــن عنـــدما حاولـــت فتحـــه شـــعرت بشـــيء غيـــر عـــادي يحـــدث ، البـــاب تراجـــع قلـــيلاً كمـــا لـــو أنـــه كـــان يفـــتح لهـــا لكـــن بمقاومـــةٍ غيـــر مرئيـــة ، دخلـــت بحـــذر وكأنهـــا تخطـــو فـــي مـــاضٍ غريـــب لا تعرفـــه تمامًا.

داخل المنزل ، كانت الذكريات تتناثر هنا وهناك ، الصور القديمة على الجدران الأرائك التي كانت مليئة بالضحكات في يومٍ ما ، وحتى رائحة المكان كانت تثير في داخلها مشاعر غامضة.

أمسكت بيدها صورًا قديمة لعائلتها ، في إحدى الصور ، كانت هي نفسها في طفولتها تبتسم في عيون والدتها لكن عينا والدتها كانت تحملان شيئًا مظلمًا شيئًا لم تلاحظه في ذلك الوقت.

بينما كانت تتصفح الصور، وقعت عينها على شيء مختلف ، كانت صورة قديمة لم ترها من قبل ، كانت صورة لامرأةٍ غريبة تحمل في عيونها نفس الألم الذي

كانت تشعر به ، كانت تقف أمام الباب نفسه الذي فتحته لتوها.

ليان شعرت بالذهول ، كان الوجه في الصورة يذكرها بشيءٍ ما لكنها لم تستطع تحديده.

قررت ليان أن تستمر في البحث ، دخلت إلى الغرفة التي كانت تعرفها جيدًا غرفتها القديمة ، كان السرير القديم مازال موجودًا ، رغم الغبار الذي تغلفه ولكن هناك على الطاولة الصغيرة بجانب السرير، كانت هناك دفاتر قديمة ، دفاتر كان قد تركها وراءه شخص ما ولم تكن تعرف عنه شيئًا.

فتحت أحد الدفاتر بحذر وأخذت تقرأ الكلمات المكتوبة بخط يدٍ مألوف ، كانت

تلـــك الكلمـــات مرتبطـــة بمشـــاعرٍ وأحـــداثٍ قديمـــة ، وأحـــداث مـــرت فـــي حياتهـــا حتـــى وإن لم تكن تتذكرها تمامًا.

وفجـــأة ارتجفـــت يـــديها ، كانـــت هنـــاك رســـالة مخبـــأة داخـــل الـــدفتر ، مكتوبـــة بخـــط يد والدتها تقول :

"الســـر فـــي الـــداخل ، ابحثـــي فـــي أعماقـــك وأنـــتِ ســـتجدين مـــا تبحثـــين عنـــه لكـــن احـــذري لـــيس كـــل مـــا تجديـــه ســـيكون سعيدًا."

تســـارعت دقـــات قلـــب ليـــان ، وعيناهـــا تلتقطان التفاصيل.

كـــان هـــذا هـــو الطريـــق الـــذي كـــان يجـــب أن تســـلكه لـــتفهم أكثـــر عـــن نفســـها ، عـــن

ماضيها ، وعن ذلك السؤال الذي بدأ في إشغال كل لحظة من حياتها : "من أنا؟"

أخذت نفسًا عميقًا وأغلقت الكتاب ثم نظرت حولها إلى المكان الذي شهد ولادتها ونشأتها ، إلى كل تلك اللحظات التي ظنت أنها انتهت لكنها الآن تعلم أن كل شيء كان يهيئها لتلك اللحظة لحظة مواجهة نفسها الحقيقية.

فقط بعد أن تكشف الستار عن الماضي المظلم .. ستتمكن من مواجهة سؤالها الحقيقي.

***

الفصل التاسع

العيون التي ترى ما وراء الحجاب

عندما خرجت ليان من منزلها القديم كانت أشعة الشمس قد بدأت تغرب وأصبحت المدينة تبدو أكثر هدوءًا من أي وقت مضى ، كانت خطواتها ثقيلة لكنها كانت تمشي بثبات كأنما اكتسبت شيئًا جديدًا في نفسها ، كان الكتاب الذي وجدته في الدرج ، ورسالة والدتها المخفية ، يحملان شيئًا غير مرئي في قلبها .. شيئًا أخافها لكنه كان في الوقت نفسه يحمل إجابة بدأت تتشكل في ذهنها.

بينما كانت تسير في الشوارع المظلمة وجدت نفسها تفكر في الكلمات التي

قرأتهـــا: "السـر فـي الـداخل، ابحثـي فـي أعماقـك"، كـان الصـوت الـذي نبـع منهـا فـي تلـك اللحظـة غريبًـا وكـأن قلبهـا يشـير إلـى شـيءٍ عميـقٍ جـداً، شـيء كانـت ترفض أن تراه لسنوات طويلة.

لـم يكـن السـر متعلقًـا بالماضـي فقـط بـل كـان شـيئًا أكثـر تعقيـدًا ، كـان شـيئًا متأصـلاً فـي نفسـها ، فـي هويتهـا ، فـي وجودهـا كـان السـؤال الـذي يسـكنها : "مـن أنـا؟" لـيس مجـرد سـؤال عـابر بـل كـان علامـة علـى رحلـة طويلـة فـي أعمـاق روحهـا رحلة تُعيد صياغة كل شيء حولها.

توقفـت عنـد إحـدى المقـاهي الصـغيرة التـي اعتـادت أن تجلـس فيهـا عنـدما كانـت فـي حاجـة للهـدوء ، كانـت تـذهب هنـاك

لتسحب نفسها من زحمة الحياة ، وكانت قد نسيت كيف كان المقهى هادئًا قبل سنوات ، لكن اليوم كان المكان مختلفًا كانت الأوراق تتناثر في الهواء والأضواء خافتة ، والموسيقى التي كانت تملأ المكان بدفء أصبحت الآن أغنية حزينة تخترق قلبها.

طلبت فنجان قهوة وجلست عند الطاولة الصغيرة التي اعتادت أن تجلس عليها كانت أصوات المدينة تتلاشى حولها وكأن الزمن قد أوقف سيره ، وهي جالسة هنا تحاول أن تستجمع أفكارها وتربط الحلقات المفقودة.

بينما كانت تراقب الناس من حولها خطر لها أن معظمهم كانوا مشغولين

بحيـــــاتهم الخاصـــــة ، فـــــي مشـــــاعرهم وأفكـــارهم التـــي لا تكـــاد تُـــرى ، مثلهـــا تمامًـــا كـــان هنـــاك شـــيء مشـــترك بـــين الجميـــع: البحـــث عـــن معنـــى ، حتـــى وإن كـــانوا لا يدركون ذلك.

أخـــذت رشـــفة مـــن قهوتهـــا وكـــان طعمهـــا مـــرًا لكنهـــا لـــم تكتـــرث ، فـــي تلـــك اللحظـــة كانـــت العيـــون التـــي كانـــت تراقبهـــا تشـــعر بشـــيءٍ مختلـــف ، كانـــت تشـــعر وكـــأن هنـــاك مـــا يربطهـــا بكـــل هـــؤلاء النـــاس ، شـــيء غير مرئي لكن موجود.

"ربمـــا الكـــل يبحـــث عـــن نفـــس الشـــيء لكننـــا لا نعلـــم كيـــف نصـــل إليـــه" فكـــرت ليـــان ثـــم تســـاءلت : "هـــل هنـــاك أكثـــر ممـــا يظهـــر للعيان؟"

في تلك الليلة ، قررت ليان أن تذهب إلى ذلك المكان الذي طالما خشيت من العودة إليه " منزل والدتها " ولكن هذه المرة كانت عيونها ترى الأشياء بشكل مختلف ، كانت تتخيل أن هذا المكان يحمل المفتاح لأسئلتها وأن الإجابة التي تبحث عنها ستكون في داخل الجدران القديمة ، بين الغرف التي كانت قد أغفلتها.

عندما دخلت إلى منزل والدتها ، كان الهدوء يخيم عليه بشكل غير مألوف كل شيء كان كما تركته ولكنها الآن كانت ترى الأشياء بطريقة مختلفة كما لو أن الزمن نفسه قد انفتح أمامها وكشف عن طبقات جديدة من المعنى.

أثنـــاء تجولهـــا فـــي المنـــزل ، وجـــدت نفســـها أمـــام تلـــك الغرفـــة المغلقـــة التـــي كانـــت دائمًـــا تثيـــر فضـــولها ، كـــان البـــاب مغلقًـــا بإحكـــام لكنهـــا كانـــت تعلـــم الآن أن هـــذه هـــي الغرفـــة التي يجب عليها دخولها.

فتحـــت البـــاب بحـــذر ودخلـــت ، كـــان الهـــواء هنـــا أكثـــر بـــرودة ، وكانـــت الجـــدران مغطـــاة بالغبـــار ولكـــن مـــا جـــذب انتباههـــا كـــان الكـــائن الـــذي كـــان يطفـــو علـــى الســـطح فـــي الزاويـــة البعيـــدة ، صـــندوق قـــديم قـــد نســـيه الجميع.

كانـــت ليـــان تعلـــم أنهـــا كانـــت تلـــك اللحظـــة التـــي طالمـــا تأجلـــت ، تقـــدمَت نحـــو الصـــندوق ، فتحتـــه بحـــذر وكـــان فـــي الـــداخل

أوراق قديمة وصور فوتوغرافية بالإضافة إلى دفتر صغير جدًا.

عندما فتحت الدفتر ، اكتشفت أنه كان يحتوي على تفاصيل دقيقة عن حياتها وحياة والدتها ، كان هذا الكتاب مليئًا بأشياء لم تعرفها من قبل : قصص من الماضي لم تُحكى ، أحداث مختفية وراء ستار من الخوف والسرية.

من خلال تلك الأوراق ، بدأت ليان تكتشف أمورًا لم تكن تعلمها عن نفسها كانت هناك إشارات في تلك القصص تدل على أنها كانت جزءًا من شيء أكبر من مجرد حياة يومية بسيطة ، كانت تعيش في ظل خرافات وخوف من ماضي كان يلتهم حاضرها.

بينما كانت تقلب الصفحات ، صادفت قصة عن فتاة صغيرة كانت دائمًا تبحث عن معنى حياتها وكانت تسأل نفسها ذات السؤال الذي كانت ليان تتساءل عنه: "من أنا؟" ، كانت الفتاة تلك تجلس وحدها في الظلام تبحث عن سر غامض لم تتمكن من اكتشافه."

وعندما أكملت ليان القراءة اكتشفت شيئًا غريبًا ، كانت تلك الفتاة هي نفسها منذ سنوات ، كانت طفلة لم تعرف بعد عن مصيرها ولكنها كانت تخوض رحلة مماثلة ، كانت رحلة لفتح الأبواب المغلقة في أعماقها ، رحلة نحو فهم حقيقتها.

ولكن الفتاة التي كانت تقرأ عن نفسها في الكتاب لم تكن هي نفسها الآن لقد تغيرت ، كانت قد أصبحت على وشك أن تكتشف سرًا أكبر في نفسها سر يعيد تشكيل كل شيء حولها.

هذه كانت لحظة فارقة ، وكانت ليان تشعر بالغرابة والدهشة معًا ، كانت تعرف الآن أنها لم تكن تبحث عن شيء خارج نفسها فقط بل كان السر كامناً داخلها طوال الوقت.

***

الفصل العاشر

بزوغ الفجر الجديد

كانت ليان جالسة في الزاوية المظلمة من الغرفة وقد أغشي عليها بعض الارتباك قلبها كان ينبض بسرعة وعقلها كان يصرخ بالتساؤلات ، الكتاب الذي كانت تقلب صفحاته كان كمرآة تكشف لها جوانب من نفسها لم تكن تجرؤ على رؤيتها من قبل.

لقد كانت هناك في تلك السطور ، أشياء حقيقية عنها ، أشياء كانت قد طُمرت في ذاكرة بعيدة ربما رغبت في نسيانها أو إخفائها.

لكن الشيء الأكثر تأثيرًا كان في هذه اللحظة هو إدراكها أن حياتها لم تكن

مجـــرد سلســـلة مـــن الأحـــداث العشـــوائية كانـــت هنـــاك خيـــوط خفيـــة كانـــت تـــربط كـــل شـــيء ببعضـــه الـــبعض ، كانـــت هـــذه الخيـــوط عبـــارة عـــن لحظـــات صـــغيرة ، أفكـــارٍ دفينـــة ومشـــاعر مكبوتـــة وكلهـــا كانـــت جـــزءًا مـــن القصة التي كانت تخفيها عن نفسها.

تنهـــدت ليـــان وهـــي تغلـــق الكتـــاب بـــبطء كـــان هنـــاك شـــيء مريـــب فـــي هـــذا كلـــه شـــيء بـــدا وكـــأن الإجابـــات التـــي طالمـــا بحثـــت عنهـــا كانـــت أمامهـــا طـــوال الوقـــت لكنهـــا كانـــت تغفـــل عنهـــا ، ربمـــا كـــان هـــذا هو مفتاح تحررها.

قفـــزت فجـــأة مـــن مكانهـــا وهـــي تشـــعر بضـــغط غريـــب علـــى صـــدرها ، كـــان هـــذا الشـــعور بمثابـــة شـــرارة ، إشـــارة بأنهـــا

كانت على وشك الوصول إلى نقطة تحول في حياتها ، كانت هناك حاجة ملحة في داخلها لتحرير هذه الأسرار سواء كانت عن نفسها أو عن والدتها كان يجب أن تواجه كل ما كانت تهرب منه.

خرجت من الغرفة بسرعة دون أن تعير كثيرًا للظلام الذي كان يحيط بالمكان كان هناك شعور قوي بضرورة التحرك الآن ، فالساعات التي تمضي وهي تماطل تصبح أكثر ثقلاً عليها ، كانت تقترب من نقطة اللاعودة.

***

في اليوم التالي

وبينما كانت في طريقها إلى المدينة فكرت ليان في كل ما اكتشفته ، تساءلت إن كانت ستكون قادرة على التعامل مع هذا التحول في نفسها .. كانت تخشى أن هذه الحقائق التي اكتشفتها ستغير كل شيء في حياتها بشكل جذري ، لكن في الوقت نفسه كانت تشعر بأن هذه التغييرات كانت ضرورية إذا أرادت أن تجد السلام الداخلي.

عندما وصلت إلى المقهى الذي تعودت على زيارته ، دخلت وجلست عند الطاولة نفسها التي كانت تجلس عليها في الأيام الماضية ولكن اليوم كان الجو مختلفًا ، كان الضوء أكثر دفئًا

والأصوات أقل حدة ، كان هناك شيء ما في الجو جعلها تشعر بأن الحياة قد تغيرت.

ثم دخل شخصٌ غريب ، شاب ذو ملامح هادئة وعينين عميقتين ، لم تكن تعرفه لكنه كان يبدو كأنه شخص يعرف شيئًا لا تعرفه هي ، اقترب منها وجلس على الطاولة بجانبها دون أن ينطق بكلمة.

كانت نظراته غريبة لا تحمل أي نوع من التوتر أو الاندفاع بل كانت عميقة وساكنة كأنها تراقب شيئًا بعيدًا في داخلها .. ابتسمت ليان بخجل لكنها لم تستطع أن تتجنب نظراته ، بدا أن هناك شيئًا بينهما لا يمكن تفسيره بالكلمات.

قال الرجل بهدوء:

-"أنتِ تبحثين عن شيء، أليس كذلك؟"

فوجئت ليان بما قاله ، كيف عرف؟!

-"نعم ، لكن كيف؟"

قالت بصوت منخفض.

ابتسم الرجل بلطف وقال:

-"نحن جميعنا نبحث لكن القليل فقط من يعرف ما الذي يبحث عنه ، أنتِ الآن في نقطة تحول .. أليس كذلك؟"

لم ترد ليان بل اكتفت بالنظر إليه في دهشة ، كان حديثه يلامس شيئًا عميقًا في قلبها لكنه كان أيضًا غريبًا جدًا.

قال الرجل :

-"عليكِ أن تعلمي أن الحياة ليست مجرد محاولة لفهم الماضي بل هي أيضًا عن

استيعاب اللحظة الحالية ، والفهم الكامل لما نحن عليه الآن."

كان حديثه مليئًا بالحكمة ، وكان صوته ينساب كالموسيقى الهادئة ولكن ليان كانت مترددة ، شعرت وكأنها لا تزال في مرحلة لا تستطيع فيها استيعاب كل هذا.

-"أنا لا أعرف إذا كنتُ مستعدة لذلك" قالت ليان أخيرًا.

-"كل شيء أصبح أكثر تعقيدًا مما كنت أظن."

-"المعرفة ليست دائمًا سهلة"

قال الرجل :

-"لكن الحقيقة مثل الضوء تنبثق عندما تكون مستعدًا لاستقبالها، إنكِ في طريقك

نحو فهم أعمق، ليان، وكل شيء في الحياة هو جزء من هذا الطريق."

كان حديثه غامضًا لكنه يحمل شيئًا من السكينة ، شيئًا جعل ليان تشعر بالارتياح رغم الغموض الذي كان يلف الحديث.

ثم قال الرجل : "إذًا ، أراكِ قريبًا .. هذا الطريق سيقودك إلى حيث يجب أن تكوني."

نهض الرجل عن الطاولة وترك ليان في حالة من التأمل ، كانت لا تزال تحاول فك شفرة ما قاله ولكن لم يكن لديها وقت لتضيعه في تحليل الكلمات ، كان يجب أن تتحرك، وفي تلك اللحظة شعرت ليان بشيء غريب يتسلل إلى قلبها، شعور بالأمل.

***

الفصل الحادي عشر

من خلال الضباب

مـــرت الأيـــام متســـارعة ولكـــن ليـــان لـــم تكـــن قـــادرة علـــى الـــتخلص مـــن الشـــعور الـــذي لا يفارقهـــا ، تلـــك الكلمـــات التـــي قالهـــا الرجـــل فـــي المقهـــى ، كانـــت كأنهـــا رمـــوز قـــد وضـــعت أمامهـــا لكنهـــا لا تســـتطيع فـــك شفرتها بالكامل بعد.

لـــم تكـــن تعـــرف كيـــف ســـتواجه هـــذه الرحلـــة القادمـــة ، أو إذا كانـــت مســـتعدة للمضـــي قـــدمًا لكـــن قلبهـــا كـــان ينـــبض بشـــدة فـــي كـــل مرة تتذكر تلك اللحظة.

كانـــت تســـير فـــي طريـــقٍ ضـــبابي ، ضـــباب يغلـــف كـــل شـــيء حولهـــا ومـــع كـــل خطـــوة كـــان يتســـاقط شـــيء مـــن هـــذا الضـــباب

ليكشف عن منظر أكثر وضوحًا لكن كلما اقتربت ، ظهرت أمامها أسئلة جديدة كانت تجد نفسها عاجزة عن الإجابة عليها ، كانت تتساءل إذا كان هذا هو ما تعنيه الرحلة الداخلية ، أن تقترب أكثر وأكثر من الذات الحقيقية حتى تصبح كل إجابة أكثر صعوبة وكل خطوة أكثر تعقيدًا.

قررت في تلك اللحظة أنها يجب أن تقابل نفسها ، أن تتواجه مع كل ما في داخلها مع كل شك وكل خوف ، كانت بحاجة لأن تبتعد عن الضوضاء التي تملأ حياتها ، الضوضاء التي كانت تهدر في عقليها وتمنعها من رؤية الحقيقة بوضوح ، كان عليها أن تغلق كل

الأبـــواب التـــي كانـــت تُبقيهـــا فـــي الســـجن الذي صنعته لنفسها.

وفـــي تلـــك الليلـــة اجتمعـــت ليـــان مـــع نفســـها فـــي مكـــانٍ هـــادئ بعيـــد عـــن أعـــين الآخـــرين. كانـــت قـــد اختـــارت الغابـــة قـــرب منزلهـــا كمكـــان لعزلتهـــا ، كانـــت الغابـــة المكـــان الـــذي شـــعرت فيـــه بـــأعظم الراحـــة وكأنهـــا تشـــعر بالاتصـــال بـــالأرض وبالطبيعـــة ، هنـــا كانـــت أكثـــر اســـتعدادًا لملاقـــاة الـــذات التـــي كانت تخشى مواجهة وجهها الحقيقي.

جلســـت علـــى الأرض وأغمضـــت عينيهـــا وأخـــذت نفسًـــا عميقًـــا ، كانـــت تعلـــم أن هـــذه اللحظـــة رغـــم أنهـــا محوريـــة فـــي حياتهـــا قـــد تكـــون مؤلمـــة ولكنهـــا كانـــت مســـتعدة

للذهاب إلى أبعد الحدود من أجل معرفة الحقيقة.

بينما كانت تغرق في صمت الغابة بدأت تتسرب إليها أفكارٌ كانت قد دفنتها داخلها لسنوات ، كل تلك اللحظات التي رفضت مواجهتها ، كل تلك الجروح التي كانت تظن أنها شفيت ، كانت تعود لتطفو على السطح.

تذكرت والدتها وكيف كانت دائمًا غائبة جسديًا وعاطفيًا وكيف كانت تتجنب الحديث عن أي شيء مهم وكأنها كانت تسرق منها كل فرصة لفهم الحياة بشكل حقيقي ، كانت تكره هذه الوحدة التي كانت تشعر بها ولكنها في نفس الوقت

كانت تظن أن هذا هو قدرها وأنه يجب عليها تقبله.

لكن الآن بينما كانت تجلس هناك في قلب الليل كان صوتٌ في داخلها يخبرها أن كل هذا لم يكن سوى جزء من الصورة الكاملة ، كانت معركتها مع نفسها أكبر من مجرد جرح ناتج عن غياب أم أو هجران.

كانت المعركة ضد الإيمان الخاطئ بأنها لا تستحق الحب أو بأنها ليست قوية بما يكفي للتغيير.

فتحت عينيها فجأة وكأن شيئًا غير مرئي قد مر عبرها ، كانت هذه اللحظة بمثابة انعطافة حادة في مسار حياتها ، أدركت أن مواجهتها لم تكن مع الآخرين بل مع

نفسها مع تلك الكدمات النفسية التي كانت تحاول دائمًا التهرب منها.

نهضت ليان وقامت بتحريك قدميها عبر الأرض ، كان قلبها ينبض بشدة الآن ولكن ليس خوفًا بل شجاعة .. كانت تشعر بشيء جديد داخلها قوة كانت قد ضاعت في بحر من الصمت والشك كان عليها أن تتحرك ، أن تتجاوز كل ما حجزها في الماضي.

وكان هناك شيء آخر، شيء أكبر من مجرد الجروح والمشاعر المكبوتة ، كان هنالك سؤال واحد كما لو أنه كان يقف هناك في النهاية ينتظرها.

"من أنا؟"

هـــذه المـــرة كـــان الســـؤال يحمـــل معنـــى أعمــق ، لــم يكــن مجــرد ســؤال تبحــث عــن إجابــة ســطحية لــه بــل كــان إعلانًــا داخليًــا عــن اســتعدادها لملاقــاة كــل جوانــب نفســها كــان هــذا هــو التحــدي الأكبــر الــذي كانــت تواجهه في حياتها.

عنــدما عــادت إلــى منزلهــا فــي الصــباح البــاكر، شــعرت وكأنهــا قــد ولــدت مــن جديــد لــم تكــن ليــان نفســها القديمــة ، كانــت قــد تطــورت إلــى شــيء آخــر ، شــيء أقــوى وأكثــر وضــوحًا ، كــان لــديها الآن قــوة حقيقيــة لمواجهــة الحيــاة مــن دون الهــروب ولديــه القــدرة علــى مواجهــة الحقيقــة مهمــا كانــت مؤلمــة وعلــى الــرغم مــن أن الطريــق أمامهــا مــازال طــويلاً ومعقــدًا إلا أن ليــان

كانـــت تعلـــم الآن أن الرحلـــة قـــد بـــدأت بالفعـــل وكانـــت قـــادرة علـــى الســـير فيهـــا بخطـــوات واثقـــة نحـــو الـــذات التـــي كانـــت تخشى التقرب منها لفترة طويلة.

كلمـــا تقـــدمت أكثـــر، كانـــت تـــتعلم شـــيئًا جديـــدًا عـــن نفســـها وكلمـــا اقتربـــت أكثـــر مـــن الإجابـــة عـــن الســـؤال الـــذي كـــان يؤرقهـــا كانت تتضح الرؤية شيئًا فشيئًا.

***

الفصل الثاني عشر

شجاعة في مواجهة الظلام

في الأيام التالية ، كان التغيير واضحًا في ليان ، كان هناك شيء مختلف في خطواتها .. في نظرتها للأشياء .. لم تعد تخشى مواجهة المجهول بل كانت تحاول أن ترى فيه فرصة للتطور ، للمواجهة مع الذات ، شعرت بشيء غريب ينساب في عروقها كأنها كانت تسير على أرض جديدة ، أرض لم تكن تعرفها من قبل لكنها الآن تعرف طريقها فيها.

بينما كانت تجلس في غرفة نومها تتأمل في الكتاب الذي كانت قد وجدته منذ أيام الذي كان يحوي ذلك المقطع الغامض الذي ألهمها في البداية ، قررت أن تعود

إلى ذلك الكتاب مرة أخرى .. ليس فقط لتفسير ما قرأته ولكن لتكتشف إن كان هنالك شيء آخر قد فاتتها.

كانت الكلمات التي قرأتها في المرة السابقة قد أشعلت داخلها شرارة ، كانت تشعر بأنها على وشك فهم معنى اسمها على وشك اكتشاف شيء أعمق ، فتحت الكتاب بعناية ، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تبدأ في قراءة الصفحة التالية التي كانت قد توقفت عندها.

"الاسم ليس مجرد حروف، هو تاريخ هو رحيل ونشوء، هو بداية النهاية وبداية بداية جديدة، كما أن لكل رحلة نهاية، لكل اسم بداية، وأنتِ يا ليان ستكتشفين في النهاية أنه ليس اسمك

هـو مـا يحـددك بـل مـا تجسـدينه مـن معـاني في قلبك."

هـزت ليـان رأسـها بحيـرة ثـم أعـادت قـراءة الكلمـات مـرة أخـرى ، هـذه المـرة كانـت الكلمـات تحمـل أكثـر مـن مجـرد رمزيـة كانـت تحمـل تحـذيرًا ولكـن أيضًـا وعـدًا وعـدًا بمسـتقبل ملـيء بالكشـف ولكـن أيضًـا بمواجهـة الحقيقـة ، كانـت هـذه اللحظـة هـي التـي انتظرتهـا طـويلًا ، هـذه الكلمـات جعلتهـا تشـعر بشـيء مميـز فـي داخلهـا .. ربمـا كانـت الرحلـة أكبـر ممـا كانـت تتخيـل وربمـا كـان عليهـا أن تكـون أكثـر جـرأة ممـا كانـت فـي الماضـي ، لكـن كـان هنـاك شـيء فـي أعماقهـا يصـرخ : هـل هـي مسـتعدة لهـذه الرحلـة؟ لـم يكـن

الجـــواب ســـهلاً ، كانـــت تعلـــم أن ذلـــك ســـيتطلب منهـــا أكثـــر مـــن مجـــرد الشـــجاعة كـــان عليهـــا أن تكـــون علـــى اســـتعداد للتخلـــي عـــن الكثيـــر مـــن الأشـــياء التـــي كانـــت تشـــكل هويتها.

***

في اليوم التالي

قـــررت ليـــان أن تخـــرج للمشـــي ، كانـــت بحاجـــة للتأمـــل للهـــدوء ، لملاقـــاة نفســـها فـــي الهـــواء الطلـــق ، كـــان كـــل شـــيء حولهـــا صـــامتًا كمـــا لـــو أن الطبيعـــة كانـــت تشـــاركها تلك اللحظة الفريدة.

أثنـــاء ســـيرها بـــين الأشـــجار، شـــعرت بشـــيء غريـــب ، كـــان الهـــواء يحمـــل شـــيئًا مختلفًـــا وكأنمـــا الأرض تحـــت قـــدميها كانـــت تتـــنفس

معهـــا ، توقفـــت فجـــأة وأغمضـــت عينيهـــا استـــمعت إلـــى الأصـــوات المحيطـــة ، لـــم يكـــن هنـــاك شـــيء غيـــر عـــادي لكـــن شـــعرت بشـــيء كبيـــر ينـــبض فـــي قلبهـــا ، شـــعرت وكـــأن كـــل شـــيء فـــي العـــالم قـــد تجمّـــد لثـــوانٍ كأنهـــا كانـــت وحيـــدة فـــي هـــذا الكـــون كمـــا لـــو أن هذه اللحظة كانت فقط من أجلها.

وعنـــدما فتحـــت عينيهـــا رأت أمامهـــا مشـــهدًا غريبًـــا ، لـــم تكـــن تعلـــم كيـــف تفســـره لكـــن كانـــت الأشـــجار وكأنهـــا تـــرقص فـــي الريـــاح وكانـــت الســـماء تتغيـــر بشـــكل غريـــب كأنهـــا تفـــتح أبوابًـــا جديـــدة أمامهـــا ، شـــعرت بشـــيء مـــا يتجســـد داخلهـــا .. كانـــت الحيـــاة بطرقهـــا العميقـــة والغريبـــة قـــد بـــدأت تكشـــف لهـــا أكثـــر عـــن نفســـها ، ثـــم جـــاء ذلـــك

الصوت مرة أخرى في أعماقها ، كان الصوت الذي أصغت إليه في البداية في ذلك المقهى .. الصوت الذي كان يصرخ بداخلها عن الطريق القادم.

كانت تتذكره بوضوح الآن : "أن تبحث عن الحقيقة ليس بالأمر السهل ولكنه الطريق الوحيد الذي يحررك."

تحركت ليان بخطوات بطيئة وثابتة وكأنها تغرس أقدامها في الأرض بكل قوتها ، شعرت بشيء من النضج وبشعور جديد بالقوة ، كانت تقترب أكثر فأكثر من مواجهة ذاتها وكأنها تتفهم ذلك الانشطار في روحها بين الحاضر والماضي ، بين ما تعرفه وما لا تعرفه.

في تلك اللحظة شعرت بيدها تحتضن الكتاب الذي كانت قد ألقته على الطاولة في المنزل ، كانت تعود إليه الآن بشكل تلقائي وكأن الكتاب هو المفتاح لكل شيء لكل الأسئلة التي كانت تختمر في عقلها.

عادت إلى الكلمات السابقة وبدأت تقرأها مرة أخرى ولكن هذه المرة بشعور مختلف ، شعرت أنها جزء من هذه الكلمات كأنها كانت جزءًا من قصة أكبر كان هناك أمر واحد واضح الآن : ليان كانت على أعتاب شيء عظيم ، كانت على وشك فهم أعمق عن نفسها ، ولم يكن هنالك شيء يمكن أن يوقفها الآن.

وتنهدت عميقًا وكأنها كانت تترك وراءها كل ما كان يشدها إلى الوراء.

الفصل الثالث عشر

بداية جديدة

مـــرت الأيـــام ، وكلمـــا ابتعـــدت ليـــان عـــن الحيـــاة التـــي كانـــت تعرفهـــا ، أصـــبحت أكثـــر قـــدرة علـــى الشـــعور بمـــا يحـــيط بهـــا ، كـــان مثـــل شـــعاع ضـــوء يبـــدد الظـــلام مـــن حولهـــا وكأنهـــا بـــدأت تجـــد مفـــاتيح أبـــواب لـــم تكـــن تعرفهـــا مـــن قبـــل ، لـــم يعـــد الخـــوف يلاحقهـــا بـــنفس القـــوة الســـابقة بـــل أصـــبح مجـــرد ظـــل بعيدًا عن الحقيقة التي تبحث عنها.

وفـــي ليلـــة هادئـــة جلســـت ليـــان علـــى حافـــة نافـــذتها تنظـــر إلـــى الســـماء المظلمـــة التـــي تزينهـــا النجـــوم المتنـــاثرة ، كانـــت تتســـاءل عـــن معنـــى كـــل هـــذا ، لمـــاذا هـــي هنـــا؟ لمـــاذا كانـــت تلـــك اللحظـــات الأولـــى فـــي رحلتهـــا

مليئة بالحيرة والضياع؟ ولكن الآن بدأت ترى الصورة أكبر ، ربما كانت رحلة اكتشاف الذات ليست عن إيجاد الإجابات فحسب بل عن تعلم كيف تعيش مع الأسئلة.

-"هل أنتي جاهزة؟" جاءها الصوت الذي لطالما ترددت في أعماقها الصوت نفسه الذي أوقفها من قبل عند كل مفترق.

كانت المرة الأولى التي شعرت فيها أنها مستعدة حقًا للجواب ، كانت تعلم أن الطريق لن يكون سهلاً ولكنها كانت تشعر بشيء أقوى بداخلها ، شيء يشبه السكون قبل العاصفة ، ثم شعرت فجأة بشيء غريب وكأنما الأفق أمامها بدأ

يتغير ، كانت عيناها تراقبان الأفق بكل تركيز ، عندما لمحت شيئًا غريبًا في السماء لم يكن ضوءًا عاديًا كان كأن السماء نفسها كانت تشير إليها وكأن النجوم تلعب دورًا في الإجابة عن أسئلتها إنها اللحظة التي انتظرتها طويلًا.

عادت إلى الكتاب في تلك اللحظة ولكن هذه المرة كانت يديها تتأمل الكلمات بتقدير عميق ، كانت تعلم الآن أن ما تبحث عنه ليس في صفحات الكتاب فحسب بل في نفسها ، في تلك الفجوات المظلمة التي لم تكن قد جالت فيها من قبل.

"أن تعيش ليس أن تعرف كل شيء بل أن تقبل بأنك لا تعرف، وأنك مستعد للاستكشاف."

تلك الكلمات كانت كالإجابة التي تبحث عنها ، القبول هذا ما كانت تفتقده طوال الوقت ، كانت تخشى مواجهة الجوانب المظلمة في نفسها ولكن الآن أدركت أن تلك الظلال جزء من كل شيء ، كانت تحتاج فقط لتقبله ، لتواجهه لتفتح له الأبواب.

بدأت ليان تشعر بشيء من التحرر شيء كان يشبه الطيران ، شعرت أن الحياة أصبحت أكثر وضوحًا أمامها أكثر اتساعًا ، وكل خطوة كانت تتخذها كانت تكشف لها جوانب جديدة من

نفسها ، الحياة كانت قد بدأت تشبه الرسم على لوحة بيضاء ، وعليها الآن أن تختار الألوان التي ستملأ بها هذه اللوحة.

وبينما كانت ليان تمشي في تلك الشوارع المظلمة في تلك الليلة ، قررت أخيرًا أن تلتقط كل اللحظات المبعثرة التي كانت قد أهملتها في السابق ، كانت بحاجة إلى مواجهتها بعيون مفتوحة ليس لتغييرها ولكن لتقبلها كما هي ربما كانت تلك هي الرحلة التي يجب أن تبدأ منها : أن تتقبل كل شيء في نفسها بما فيه الظلام.

***

في اليوم التالي

قـــررت أن تكتـــب فـــي مـــذكرتها الخاصـــة وهـــو مـــا لـــم تفعلـــه منـــذ مـــدة طويلـــة ، كانـــت كلماتهـــا صـــادقة نابعـــة مـــن أعمـــاق روحهـــا قالت :

"لقـد عرفـت اليـوم أن كـل شـيء فـي الحيـاة لـيس عـن إيجـاد الإجابـات النهائيـة بـل عـن الاســـتعداد للعـــيش مـــع الأســـئلة والقبـــول بكـــل جـــزء فينـــا حتـــى وإن كـــان صـــعبًا ، ربمـــا هـــذا هـــو معنـــى الحيـــاة فـــي النهايـــة أن تعيش بكل تقلباتها.

ثـــم أغلقـــت الكتـــاب بحـــذر وتنفســـت بعمـــق كـــان هنـــاك شـــيء غريـــب فـــي داخلهـــا شـــيء أكبـــر مـــن الكلمـــات ، ربمـــا كانـــت قـــد بـــدأت للوهلـــة الأولـــى بمواجهـــة الظـــلام ولكـــن الآن أصـــبحت قـــادرة علـــى الاســـتمتاع

بنـور هـذا الظـلام ، كانـت ليـان قـد بـدأت فـي العثـور علـى السـلام الـداخلي الـذي لطالمـا بحثت عنه.

***

الفصل الرابع عشر

تفتح الأفق

مـــرت الأيـــام وأصـــبحت ليـــان فـــي حالـــة جديـدة مـن التـوازن الـداخلي ، لـم تعـد تلـك الفتـاة التـي تخشـى مواجهـة المجهـول بـل أصـبحت شخصـية محوريـة فـي رحلتهـا الخاصـة ، كانـت كـل خطـوة تخطوهـا أقـوى مـن السـابقة وكـل تفكيـر أصـبح أعمـق وأكثـر وضـوحًا ، كانـت تشـعر أنهـا قـادرة علـى معالجـة كـل شـيء بنفسـها لكـن مـع هـذا التحـول كانـت هنـاك لحظـات مـن الشـك تساؤلات تأتي لتخترق سكونها.

جلسـات التأمـل التـي كانـت تقيمهـا كـل صـباح أصـبحت جـزءًا أساسـيًا مـن روتينها.

في تلك اللحظات كانت تترك خلفها كل ما هو خارجي لتغوص في أعماق نفسها ومع كل لحظة كانت تكتشف فيها شيئًا جديدًا عن نفسها ، كانت تصطدم مع معاناة قديمة كانت تدفنها في أعماق قلبها ، تدريجيًا بدأت تلك المعاناة في الظهور ، ليس لتدميرها ولكن لتعليمها كيف يمكنها أن تتعامل معها.

"هل أستطيع فعلاً أن أعيش بدون تلك الظلال التي أضعها دائمًا أمام عيني؟"

تساءلت ليان في أحد الأيام وهي تنظر إلى المرآة.

لم تكن تعرف الإجابة تمامًا ولكنها شعرت أن التغيير الذي حدث داخلها كان يتحقق خطوة بخطوة ، أصبحت أكثر

تفتحًا تجاه كل جوانب شخصيتها سواء كانت إيجابية أو سلبية.

خلال تلك الأيام كانت ليان تشعر بشيء غريب يتسلل إلى قلبها ، شعور بالسلام ولكن أيضًا بشعور آخر، كانت ترى الحياة وكأنها نهر يتدفق بسرعة ولكنها أصبحت قادرة على السباحة معه بدلاً من أن تجرفها أمواجه ، كانت تدرك أن الحياة ليست رحلة خالية من الألم أو التحديات ولكنها أصبحت مستعدة لاستقبال تلك اللحظات بكل شجاعة .

ثم جاء اليوم الذي قررت فيه ليان أن تستعيد علاقاتها مع من حولها ، كانت قد ابتعدت عن الكثيرين خلال مراحل انغلاقها وأصبح الوقت الآن مناسبًا

لإعـــادة بنـــاء تلـــك الجســـور المفقـــودة.

اتصـــلت بحســـين أولاً .. صـــديقها الـــذي كـــان دائمًـــا هنـــاك ولكنهـــا كانـــت تشـــعر أنـــه بعيـــد عنها بسبب التغيرات التي مرت بها.

-"أهلاً حسين ، كيف حالك؟"

قالـــت ليـــان بصـــوت هـــادئ وقـــد شـــعرت ببعض التوتر في داخلها.

-"أهـــلاً ليـــان ، كيـــف حالـــك أنـــتِ؟ لـــم نلتـــقِ منـــذ فتـــرة ، أظـــن أن لـــديكِ الكثيـــر لتخبرينـــي به!" جاء رد حسين دافئًا كما كان دائمًا.

ضحكت ليان :

-"أجـــل ولكـــن هـــذا لـــيس مـــا أردت أن أتحـــدث عنـــه ، أردت فقـــط أن أقـــول إننـــي آســـفة .. آســـفة علـــى ابتعـــادي، وعلـــى عـــدم

التواصل ، كنت بحاجة لبعض الوقت مع نفسي."

-"أفهم ذلك تمامًا وأنتِ دائمًا حرة في أن تأخذي الوقت الذي تحتاجينه ، لكنني سعيد أنكِ بخير الآن."

تحدثا قليلاً عن أمور الحياة ، وعادت ليان تشعر بالأمان ، كان الصوت الذي كان يعيدها دائمًا إلى الواقع ، كان حسين هو الشخص الذي يعرف كيف يعيد إليها التوازن بكل بساطة.

ومع مرور الأيام بدأت ليان في التقرب أكثر من الآخرين ، والأهم من ذلك أنها بدأت تقبل نفسها بشكل أعمق ، لم تعد تخاف من إظهار ضعفها أو عدم اليقين

الـــذي كـــان يمـــلأ قلبهـــا ، بـــل بـــالعكس أصبحت تلك اللحظات جزءًا من قوتها.

فـــي إحـــدى الأمســـيات وبينمـــا كانـــت جالســـة فـــي أحـــد المقـــاهي الصـــغيرة قـــررت أن تنظـر إلـى الـوراء ، كانـت تفكـر فـي كـل مـا مـرت بـه ، فـي كـل خطـوة وكـل اختبـار واجهته.

وتـذكرت تلـك اللحظـات الأولـى مـن رحلتهـا عنـدما كانـت تشـعر أنهـا لا تملـك أي أداة للتعامـل مـع الحيـاة ، الآن وبعـد كـل تلـك التحـديات أصـبحت أكثـر ثقـة فـي نفسـها أصـبحت تـدرك أن قوتهـا ليسـت فـي تجنـب الصـعوبات بـل فـي قـدرتها علـى التعامـل معها.

"أعتقد أنني بدأت أكون الشخص الذي كنت دائمًا أبحث عنه"

قالت ليان لنفسها مبتسمة بتفاؤل وهي تشعر براحة غير مسبوقة.

"لقد بدأت أرى الحياة كما هي ، بكل جمالها وكل تحدياتها وأنني الآن قادرة على التغيير."

وتلك كانت اللحظة التي أدركت فيها ليان أن الحياة ليست ما نراه أمام أعيننا بل هي كل ما نتعامل معه بداخلنا.

***

الفصل الخامس عشر

إعادة البناء

مـــرت الأيـــام وأصـــبحت ليـــان أكثـــر اتزانًـــا لكنهـــا شـــعرت أن هنالـــك شـــيء مفقـــود كـــان الســـلام الـــداخلي الـــذي شـــعرت بـــه رغـــم قوتـــه يحتـــاج إلـــى شـــيء أعمـــق ، شـــيء قـــد يســـاعدها علـــى بنـــاء جســـر حقيقـــي بـــين ذاتهـــا والعـــالم الخـــارجي .. كانـــت تتســـاءل : كيـــف يمكـــن للإنســـان أن يحقـــق التكامـــل بـــين مـــا يشـــعر بـــه داخليًـــا وبـــين حياتـــه الخارجيـــة؟ كيـــف يمكنهـــا أن تخلـــق توازنًـــا دائمًـــا بـــين قوتهـــا الداخليـــة وحضـــورها فـــي العالم؟

كـــان الســـؤال الـــذي يرافقهـــا دائمًـــا هـــو: "ماذا بعد؟"

فـــي إحـــدى الأمســـيات الـهادئـــة كانـــت تجلـــس فـــي الحديقـــة الأماميـــة لمنزلهـــا تتأمـــل الســـماء الصـــافية ، فكـــرت فـــي كـــل رحلـــة مـــرّت بهـــا ، كانـــت رحلتهـــا قـــد وصـــلت إلـــى مرحلـــة مفصـــلية لكنهـــا لـــم تشـــعر بعـــد بأنهـــا قـــد حققـــت كـــل مـــا تريـــد ، كانـــت بحاجـــة إلـــى شـــيء أكثـــر مـــن مجـــرد التـــوازن الـــداخلي كانـــت بحاجـــة إلـــى استكشـــاف كيفيـــة العـــيش مع هذا التوازن في عالم مليء بالفوضى

في تلك اللحظة رن هاتفها كان حسين.

-"مرحبًـــا ، كيـــف حالـــك؟" قـــال حســـين بصوته المريح.

-"أنـــا بخيـــر ، لقـــد كنـــت أفكـــر فـــي شـــيء طـــوال اليـــوم .. كيـــف يمكـــن للإنســـان أن

يعيش بسلام داخلي حقيقي في هذا العالم الذي لا يتوقف عن الحركة؟"

قالت ليان بصوتها الذي يحمل الكثير من التأمل.

-"أعتقد أن هذا هو التحدي الأكبر أليس كذلك؟ أن تجد مكانك في هذا العالم وأنت تحاول أن تبقى صادقًا مع نفسك."

أجاب حسين :

-"نعم لكنني بدأت أشعر بأن السلام الداخلي الذي أسعى إليه يجب أن يمتد إلى ما هو أبعد من مجرد مشاعري ربما يجب أن أتعلم كيف أكون أكثر تفاعلًا مع الحياة."

كان حسين دائمًا يملك الحكمة في كلماته وتلك المرة أيضًا قال لها :

-"المعادلة الحقيقية تكمن في أن تجد توازنك في العالم من حولك ، إذا كنت قادرًا على خلق السلام الداخلي فلابد أن يكون لديك القدرة على التأثير في محيطك بشكل إيجابي."

كان حديث حسين بمثابة ضوء جديد يضيء في عقل ليان ، كانت قد بدأت تكتشف أن السلام الداخلي الذي حققته لم يكن كافيًا فقط لها بل كان عليها أن تنقله إلى أفعال حقيقية وأن تخلق تأثيرًا في حياة الآخرين ربما كانت هذه هي الخطوة التي كانت تبحث عنها ، الخطوة التي ستسمح لها بالتواصل مع العالم بشكل أعمق.

في الأيام التالية بدأت ليان في تطبيق هذه الفكرة في حياتها ، بدأت تشارك أفكارها ومشاعرها مع الآخرين بشكل أكثر انفتاحًا ، لا تقف فقط على حدود تجربتها الخاصة ، كانت تراقب كيف يتفاعل الناس معها عندما تُظهر جوانبها الإنسانية الحقيقية ، كان رد فعلهم أحيانًا مفاجئًا ولكن كانت هنالك لحظات من التواصل العميق ، لحظات كانت تشعر فيها بأنها تبني شيئًا أكبر من نفسها.

كانت ليان قد بدأت في استكشاف كيف يمكن للسلام الداخلي أن يمتد إلى خارجها ، إلى محيطها الاجتماعي والمجتمعي ، بدأت تدرك أن هذه الرحلة لا تتعلق فقط بها كفرد بل بالعالم كله

وأن ما تبنيه داخلها يمكن أن يكون له تأثير في شكل العلاقات التي تنشئها والطريقة التي تتفاعل بها مع الآخرين ثم جاء اليوم الذي قررت فيه أن تخرج إلى العمل التطوعي ، كان لديها رغبة كبيرة في أن تمنح جزءًا من قوتها الداخلية لمن حولها.

كانت تعلم أن هذا سيأخذ منها وقتًا وجهدًا لكن في أعماقها كانت تشعر بأن هذا هو الطريق الذي يجب أن تسلكه لتكمل رحلتها.

"إذا كنتِ تريدين أن تتركِ أثرًا حقيقيًا في هذا العالم ، يجب أن تبدأي بالتفاعل مع الناس ، وأن تكوني جزءًا من التغيير الذي تريدين رؤيته."

كان هذا ما قاله لها حسين حينما أخبرته عن قرارها.

وبالفعل بدأت ليان في العمل مع مجموعة من الشباب في برنامج تطوعي يهدف إلى مساعدة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة .. كانت تلك التجربة مختلفة تمامًا عن أي شيء سبق أن اختبرته ، كانت ترى فيها تحديًا حقيقيًا ولكنه كان أيضًا مليئًا بالفرص لتعلم مهارات جديدة وبناء علاقات إنسانية حقيقية.

كان الأطفال في هذا البرنامج يواجهون تحديات ضخمة ، ورغم ذلك كان لديهم دائمًا ابتسامة على وجوههم ، بدأوا يعلمون ليان شيئًا جديدًا في كل يوم

كانت طريقة تعاملهم مع الحياة رغم صعوبتها تلهمها بأن تعيش في الحاضر بشكل أعمق.

وفي إحدى الجلسات مع الأطفال ، وبعد يوم طويل من الأنشطة ، جلست ليان بمفردها على أحد المقاعد في الحديقة. كانت تشعر بتعب جسدي لكنها في الوقت ذاته كانت تشعر بنوع من السلام العميق يغمر قلبها ، تلك اللحظة كانت فارقة لأنها أدركت أن كل شيء من حولها، من الأطفال إلى العوامل التي واجهتها في حياتها، كان جزءًا من التغيير الكبير الذي كانت تمر به.

-"لقد بدأت أرى الأشياء من منظور آخر."

همســـت ليـــان لنفســـها وهـــي تراقـــب ضـــوء الشمس يتلاشى وراء الأفق. "

هـــذا هـــو الطريـــق ، وهـــذه هـــي البدايـــة الحقيقية."

***

الفصل السادس عشر

الطُرق المجهولة

مع مرور الأيام أصبحت ليان أكثر اتصالًا بالحياة ، وأكثر تقبلًا لحقيقة أن الطريق نحو التغيير لا يمكن أن يُفهم تمامًا إلا من خلال السير فيه ، كانت تسير في طريق مليء بالشكوك ولكنها كانت تعلم أن هذا الطريق هو الطريق الذي يعكس أعمق جوانب ذاتها.

ومع تزايد تجربتها في العمل التطوعي كانت ليان تدرك شيئًا مهمًا كانت تقترب من قلب المسألة.

كانت قد بدأت في فهم أن كل واحد منا يحمل داخله الكثير من الجراح لكن كيفية التعامل مع تلك الجراح هي ما

يشكل شخصية الإنسان ، الحياة لم تكن مثالية ولن تكون ، لكنها كانت تعلم أن الاختيارات التي تتخذها اليوم هي التي ستحدد معالم مستقبلها.

في إحدى الجلسات مع أحد الأطفال في البرنامج ، سألت ليان الطفل عن أحلامه المستقبلية ، كانت تلك اللحظة حاسمة لأن سؤالها البسيط أثار في قلب الطفل إجابة عميقة.

-"أريد أن أكون شخصًا سعيدًا."

قال الطفل ببساطة.

سألت نفسها: "هل السعادة هي هدف الحياة؟ أم أنها مجرد رحلة في مسار الحياة؟"

كانت هذه المرة الأولى التي تجد فيها نفسها غارقة في هذه الأسئلة بشكل عميق ، كانت تعرف أن السعادة ليست حالة ثابتة بل هي حالة من التوازن الداخلي الذي يختلف من لحظة إلى أخرى لكنها شعرت أن هذه اللحظة التي كانت تشارك فيها الطفل أحلامه كانت لحظة من السعادة الحقيقية بالنسبة لها.

مرت الأيام وكأنها حلم طويل ومتشابك وعادت ليان مرة أخرى لتواجه سؤالها العميق : "من أنا؟"

كانت تعرف أنها قد تكون قد تخطت العديد من المراحل في رحلتها لكن هناك جزءًا منها لا يزال غامضًا ، كانت تقف عند مفترق طرق ، لا تعرف إلى أين

ستذهب بعد ذلك ، ومع ذلك كانت تشعر بأن هذه اللحظة ستكون نقطة التحول الحاسمة في حياتها.

في تلك الليلة وبينما كانت تتنقل عبر صفحات الكتاب الذي كانت قد عثرت عليه في البداية ، قرأت إحدى الجمل التي شعرت بأنها أضاءت عقليها:

"الإنسان الذي يجد نفسه هو ذلك الذي يعرف أنه في رحلة مستمرة، وأينما كان فهو في المكان الصحيح."

كانت هذه الكلمات هي الشرارة التي أشعلت داخلها فهمًا جديدًا ، ربما كانت قد وصلت إلى نقطة لابد فيها أن تتوقف عن البحث عن إجابة واحدة ، وأن تبدأ في قبول كل مرحلة من مراحل حياتها

كجـــزء مـــن الرحلـــة ذاتهـــا ، كانـــت تحتـــاج إلـــى أن تجـــد الســـعادة فـــي اللحظـــات التـــي تمـــر بهـــا ، وأن تـــرى فـــي كـــل لحظـــة معنـــى أعمق.

شـــعرت بشـــيء مـــن الســـكينة يمـــلأ قلبهـــا وكأنهـــا أدركـــت أخيـــرًا أن كـــل هـــذه الأســـئلة التـــي كانـــت تؤرقهـــا لـــم تكـــن إلا جـــزءًا مـــن رحلـــة أكبـــر ، كانـــت تقـــف عنـــد بدايـــة جديـــدة ولـــم تكـــن تعـــرف إلـــى أيـــن ســـتأخذها هـــذه الرحلـــة لكنهـــا كانـــت متأكـــدة أن الهـــدف لـــيس الوصـــول إلـــى مكـــان معـــين بـــل أن تكـــون حاضـــرة فـــي كـــل لحظـــة مـــن الرحلـــة ثـــم جـــاء اليـــوم الـــذي قـــررت فيـــه أن تتحـــدث عـــن تجربتهـــا أمـــام مجموعـــة مـــن النـــاس كـــان لـــديها شـــعور داخلـــي بأنهـــا قـــد وصـــلت

إلـــى نقطـــة يجـــب أن تشـــارك فيهـــا تجربتهـــا مـــع الآخـــرين ، أن تفـــتح لهـــم قلبهـــا ، وأن تكـــون صـــادقة معهـــم ومـــع نفســـها ، فـــي تلـــك اللحظـــة عنـــدما صـــعدت علـــى المنصـــة وجـــدت نفســـها تـــتكلم بـــلا تخطـــيط مســـبق تتدفق الكلمات من قلبها بشكل عفوي.

-"نحـــن فـــي رحلـــة مســـتمرة ولكننـــا نعـــيش دائمًـــا فـــي الوقـــت الـــذي نكـــون فيـــه، لـــيس هنـــاك وجهـــة واحـــدة نســـعى إليهـــا بـــل العديـــد مـــن المحطـــات التـــي نمـــر بهـــا، وكـــل محطـــة تضيف شيئًا جديدًا إلى من نحن."

قالت ليان وهي تنظر إلى الحضور.

وعنـــدما انتهـــت مـــن الحـــديث ، شـــعرت بشـــيء غريـــب ، كانـــت قـــد أصـــبحت أكثـــر ارتباطًـــا بعالمهـــا ، أكثـــر قـــدرة علـــى العـــيش

فـــي الحاضـــر بشـــكل كامـــل ، كانـــت هـــذه اللحظـــة بمثابـــة إقـــرار داخلـــي بأنهـــا قـــد وجـــدت الســـلام الـــذي كانـــت تبحـــث عنـــه كـــان هـــذا هـــو التـــوازن الـــذي كانـــت تبحـــث عنه طوال هذه السنوات.

فـــي تلـــك الليلـــة وبينمـــا كانـــت تجلـــس فـــي هـــدوء غرفتهـــا ، أغمضـــت عينيهـــا بســـلام وأصـــبحت تعـــرف تمامًـــا أن الســـؤال الـــذي كانـــت تطرحـــه دائمًـــا : "مـــن أنـــا؟" قـــد بـــدأ يكتمل جوابه.

لقـــد أصـــبحت ليـــان أكثـــر قبـــولًا لـــذاتها وأكثر شجاعة لمواجهة المجهول.

***

الفصل السابع عشر

الضوء القادم من الظلال

أصبح كل شيء يبدو أكثر وضوحًا الآن حتى وإن كانت ليان ما تزال تشعر بأنها على حافة شيء أكبر ، بعد حديثها أمام الحضور بدأت تشعر بأنها قد دخلت مرحلة جديدة في رحلتها ، كانت الجراح التي كانت تخفيها بداخلها قد بدأت تلتئم لكن هناك شعور غريب كان يراودها وكأن هناك شيئًا لم تكتشفه بعد ، كانت بحاجة إلى مواجهة شيء آخر .. شيء أعمق ، كان ينتظرها في مكان ما بعيدًا داخل نفسها.

في تلك الأيام بدأت تشعر بوجود ظلال تتنقل من زاوية إلى زاوية في عقلها

كأنها تحاول أن تحيط بها من كل جانب كانت تحاول أن تجد تفسيرًا لهذه الظلال ولكنها لم تكن تجد الكلمات المناسبة لذلك ، وفي كل مرة كانت تغلق عينيها كانت تلمح تلك الظلال وكأنها تحاول أن تهمس لها بشيء ما.

ثم جاء يوم جديد ، وكان هذا اليوم يحمل شيئًا مختلفًا ، شعرت بشيء غريب في قلبها ، كان وكأن هناك رسالة قادمة من مكان ما بعيد ، رسالة تطلب منها أن تتبعها ، قررت أن تكون شجاعة بما فيه الكفاية لتفتح الباب أمام هذه الرسالة وأن تستمع لما تود تلك الظلال أن تخبرها.

سارت في الشارع دون وجهة محددة تراقب تفاصيل المكان حولها كما لو كانت تراها لأول مرة ، كان الجو في الخارج هادئًا ، والرياح تعصف بالأشجار برفق وكأن الطبيعة كانت تناديها لتتوقف لحظة وتستمع إلى رسالتها وفي لحظة عابرة توقفت ليان أمام نافذة أحد المقاهي ، كانت هناك لوحة صغيرة معلقة على الجدار مكتوب عليها : "لتكن معك الحقيقة حتى وإن كانت تزعجك."

توقفت ليان وقرأت الكلمات مرة أخرى شعرت وكأن هذه الكلمات كانت قد كتبت خصيصًا لها ، كان هذا هو السر الذي كانت تفتقده طوال هذا الوقت .. الحقيقة

التـــي كانـــت تخشـــى مواجهتهـــا ، كانـــت تخشـــى أن تتواجـــه مـــع الحقيقـــة الكاملـــة عـــن نفســـها خوفًـــا مـــن أن تكتشـــف جوانـــب جديـــدة قـــد تكـــون صـــادمة ، لكـــن فـــي تلـــك اللحظـــة فهمـــت أن الحقيقـــة ليســـت شـــيئًا يجـــب الخـــوف منـــه بـــل هـــي الشـــيء الـــذي يقودنا إلى التحول الحقيقي .

"لـــتكن معـــك الحقيقـــة ، حتـــى وإن كانـــت تزعجك."

أصـــبحت هـــذه الكلمـــات بمثابـــة مفتـــاح لبوابة جديدة داخل نفسها.

قـــررت أن تفـــتح البـــاب ، كانـــت هـــذه هـــي اللحظـــة التـــي كانـــت تنتظرهـــا ، لـــم تعـــد تســـتطيع الهـــروب مـــن الظـــلال التـــي كانـــت

تلاحقها بل كان عليها أن تواجهها بشجاعة.

عادت ليان إلى منزلها في تلك الليلة وجلسَت على سريرها ، وأغمضت عينيها للمرة الأولى دون خوف ، بدأت في التعمق داخل نفسها ، تنقب في أعماق أفكارها ، وتبحث عن تلك الحقيقة التي كانت تخشى أن تجدها في كل زاوية ، وفي كل ذكرى ، كان هناك شيء جديد يظهر ، شيء من الماضي الذي كانت قد دفنته في زوايا قلبها.

كانت تتنفس بعمق كأنها تحاول أن تستوعب كل ما كان يمر بها ، وكل الجروح التي كانت تعتقد أنها قد نسيتها

لكـــن الحقيقـــة كانـــت مختلفـــة ، كانـــت الجـــروح جـــزءًا مـــن تكوينهـــا ، جـــزءًا مـــن الشخصـــية التـــي كانـــت تصـــبح عليهـــا ، لـــم تكـــن الجـــروح عبئًـــا يجـــب الـــتخلص منـــه بـــل كانـــت جـــزءًا مـــن مســـار تطورهـــا ، فـــي تلـــك اللحظـــة شـــعرت بشـــيء غريـــب ينـــبض داخـــل قلبهـــا ، كـــان هـــذا الإحســـاس هـــو بدايـــة لـــولادة جديـــدة ، ولادة للـــذات الحقيقيـــة التـــي كانـــت تخفيهـــا وراء أكـــوام من الأسئلة والخوف.

"مـــن أنـــا؟" كـــان الســـؤال الـــذي كـــان يطاردهـــا ، والآن بـــدأت الإجابـــة تتشـــكل أمامها.

كانت هي كل تلك اللحظات التي مرّت بها كل تلك التجارب ، وكل تلك الجراح التي أصبحت جزءًا منها.

لم تكن بحاجة للبحث عن شخص آخر لتكون عليه ، بل كانت بحاجة لأن تكون نفسها بكل ما تحمله من قوة وضعف من فرح وحزن ، من يقين وشك.

أصبحت ليان الآن تعرف أن الحقيقة ليست مجرد إجابة واحدة ، بل هي رحلة مستمرة ، وكل لحظة فيها تحمل درسًا جديدًا.

كانت قد بدأت تفهم أن هذا التحول الداخلي ليس نهاية الطريق ، بل بداية لرحلة جديدة.

وفـــي تلـــك الليلـــة ، غفـــت ليـــان بســـلام مـــع شـــعور عميـــق بأنهـــا قـــد وجـــدت الطريـــق الذي سيقودها إلى ذاتها الحقيقية.

***

الفصل الثامن عشر

الفجر الجديد

استفاقت ليان في صباح اليوم التالي وكان الضوء الذي تسلل من نافذتها مختلفًا ، لم يكن الضوء العادي الذي كانت تعتاده بل كان يبدو وكأن كل شعاع يحمل معه وعدًا جديدًا ، كانت تلك اللحظات التي تلت اكتشافها الحقيقة مليئةً بهدوءٍ عميق وكأن الكون نفسه يتنفس معها ، لم تكن بحاجة للكثير من الكلمات لتدرك أن هناك شيئًا قد تغيَّر بداخلها ، شيء أعمق من أن يُعبَّر عنه بسهولة.

عندما نظرت في المرآة ، لم تَرَ شخصًا مختلفًا تمامًا لكن نظرتها إليه كانت قد

تغيرت ، كانت ترى الآن شخصًا يعترف بجميع تقلباته ، بجميع ضعفه وقوته شخصًا قادرًا على الاحتفاظ بتلك الزوايا المتعددة التي كانت تتجنبها سابقًا ، بدا وجهها أكثر تألقًا لكن عينيها كانت أكثر عمقًا وكأنها تحملان أسرارًا لم تُكشف بعد.

في تلك اللحظة أدركت ليان أن التحول الذي تعيشه لا يتوقف عند معرفة الحقيقة فقط بل يتطلب منها الشجاعة للاستمرار في السير على الطريق الذي اختارته لنفسها ، كان عليها أن تكون مستعدة لمواجهة كل ما سيظهر في المستقبل ، وأن تتقبل كل جزء من هذه الحقيقة التي كانت تهرب منها سابقًا.

قررت أن تبدأ يومها كما لو كانت تولد من جديد رغم كل الشكوك التي قد تظل تراودها بين الحين والآخر ، كانت قد بدأت تستمع إلى نفسها ، إلى تلك الأصوات التي كانت تُغفلها بسبب خوفها من الحقيقة ، الآن هي تعرف أن ذلك هو السبيل الوحيد لكي تجد إجاباتها.

خرجت ليان من المنزل وتوجهت نحو المكان الذي كانت قد زارته قبل أيامٍ قليلة حيث تلك الكلمات التي ألهمتها بينما كانت تمشي على الرصيف بدأت تتساءل : هل يمكن للإنسان أن يغير نفسه بالكامل؟ هل يمكن للإنسان أن يتجاوز كل الأوجاع التي مر بها ويبدأ من جديد؟ لكن قبل أن تستغرق في

أفكارها توقفت فجأة أمام أحد الواجهات الزجاجية حيث انعكاسها كان واضحًا أمامها.

لم تكن قد قصدت التوقف هناك ولكن كما لو كانت قد رأت شيئًا عميقًا في ذلك الانعكاس ، هناك في الزجاج بدا وكأنها ترى نفسها للمرة الأولى من منظور جديد ، ابتسمت ودموعها بدأت تنساب بشكل خفيف على خدها ، لم تكن دموع حزن بل دموع فرح عميق ، فرح لأنَّها كانت في طريقها لاكتشاف قوتها الحقيقية.

واثقة أكثر من أي وقت مضى استمرت في السير ، كانت المسافة بين خطواتها والتجربة التي تمر بها تصبح

أقصـــر كمـــا لـــو أن الـــزمن ذاتـــه قـــد بـــدأ يتحـــرك بشـــكل أســـرع ، كـــان هنـــاك شـــيئًا يـــدفعها للاســـتمرار ، شـــيء كـــان يتجـــاوز كل الكلمات.

وقبـــل أن تـــدرك ليـــان تمامًـــا ، كـــان قلبهـــا ينـــبض بشـــدة مـــن جديـــد ، وكانـــت تُحـــس بـــأن الفجـــر قـــد حـــل أخيـــرًا ، كانـــت تعـــرف أن هـــذه ليســـت النهايـــة بـــل بدايـــة لرحلـــة أعمـــق لـــم تكـــن قـــد اكتشـــفت بعـــد كامـــل عمـــق ســـرها لكـــن الضـــوء كـــان ســـاطعًا الآن أكثـــر مـــن أي وقت مضى.

***

الفصل التاسع عشر

عبر العتبة

كان صباح اليوم التالي مليئًا بالحيرة لكن أيضًا بأملٍ مُشع ، رغم الوضوح الذي بدأت تشعر به كانت ليان تعرف في قرارة نفسها أنها لم تَصل بعد إلى المرحلة النهائية في رحلتها ، كل خطوةٍ جديدة كانت تفتح أمامها أبوابًا لم تكن تتخيل أنها موجودة.

كانت عيناها تتنقلان بين السماء والأرض وبين قلبها وعقلها تبحث عن الجواب الذي كانت تحمله طوال حياتها.

ذهبت إلى مكانٍ بعيد كانت قد ابتعدت عنه لفترة طويلة ، ذلك المكان الذي عرفت فيه الكثير عن نفسها ، منذ أن

زارته آخر مرة شعرت بأن الوجود هنا كان يشبعها بطريقة لا مثيل لها ، وكأن كل زاوية فيها تهمس لها بحقيقة لم تكن لتكتشفها إلا بعد كل هذا الوقت ، كان هناك شيء سحري في المكان ، شيء يربطها بالحياة من خلال تفاصيله البسيطة ولكن العميقة في نفس الوقت.

بينما كانت تتجول هناك ، كانت تتذكر حديثًا جرى بينها وبين نفسها قبل أيام قليلة ، كان الحديث عن تلك اللحظات التي تاهت فيها ، عن أوقاتٍ شعرت فيها بالعزلة وعن اللحظات التي كانت فيها تطلب النجاة من نفسها ، لكن الآن كانت ترى كل تلك اللحظات بطريقة مختلفة كانت هي نفسها من تبحث عن قوتها

الداخليـــة ، وهـــي نفســـها مـــن تقـــود نفســـها الآن نحو الأمل ، نحو الحقيقة.

ووســـط تلـــك اللحظـــات التأمليـــة ، شـــعرت بشـــيء غريـــب ، كـــان وكأنهـــا كانـــت علـــى وشـــك عبـــور عتبـــة جديـــدة فـــي حياتهـــا فجـــأة شـــعرت بالســـلام لـــيس الســـلام الـــذي كـــان يـــأتي مـــن العـــالم الخـــارجي بـــل الســـلام الـــذي ينبـــع مـــن داخلهـــا ، كـــان هـــذا الســـلام مختلفًـــا ، أكثـــر عمقًـــا وأكثـــر هـــدوءًا شـــعرت بـــأن نفســـها التـــي كانـــت فـــي الماضـــي ، فـــي تلـــك اللحظـــات التـــي كانـــت تكـــافح فيهـــا ، قـــد أفســـحت المجـــال لنســـخةٍ جديـــدة مـــن ليـــان التـــي كانـــت تـــتعلم أخيـــرًا كيـــف تحـــب نفســـها بكـــل أبعادهـــا بأخطائهـــا بشـــكوكها وأيضًـــا بقوتهـــا لكـــن مـــع هـــذا

السلام جاء شعور غريب آخر ، شعرت كما لو أنها كانت تقف على عتبة شيء عظيم ، شيء يتجاوز كل ما عاشته حتى الآن ، كان هذا الشعور لا يشبه أي شيء آخر ، في قلبها كانت تعرف أن هناك شيئًا ما سيحدث وأنها كانت على وشك الدخول في مرحلة جديدة ، كان هناك شيءٌ ما يهمس في داخلها ولكنها لم تكن تعرف ماذا.

قبل أن تتمكن من التفكير في المزيد سمعت صوتًا مألوفًا خلفها ، كان الصوت يحمل معه دفقًا من الذكريات التي كانت قد دفنتها منذ فترة طويلة التفتت وكان هناك أمامها شخص كان قد اختفى من حياتها منذ فترة.

كـــان هـــذا اللقـــاء محيـــرًا إذ لـــم تكـــن تتوقعـــه الآن ، فـــي البدايـــة بـــدت الكلمـــات التـــي قيلـــت بينهمـــا غريبـــة وكأنهـــا كانـــت خـــارج ســـياق اللحظـــة التـــي تمـــر بهـــا ومـــع ذلـــك كـــان هنـــاك شـــيء غريـــب فـــي تلـــك اللحظـــة كـــان هنـــاك تواصـــل حقيقـــي بينهمـــا كمـــا لـــو أن كـــل شـــيء قـــد تغيـــر، وأن هـــذه اللقـــاءات أصـــبحت تحمـــل معهـــا معـــاني جديـــدة فـــي تلـــك اللحظـــة أدركـــت ليـــان شـــيئًا عميقًـــا وهـــو أن كـــل شـــيء ، حتـــى اللحظـــات التـــي كانـــت تعتقـــد أنهـــا ضـــائعة كانـــت تســـاهم فـــي تشـــكيل من هي الآن.

بينمـــا كانـــت تســـتعد لمغـــادرة المكـــان شـــعرت فجـــأة بشـــيء لـــم تكـــن تتوقعـــه ، كـــان هنـــاك إشـــراقة جديـــدة فـــي قلبهـــا ، شـــعور

بقدرة على التغلب على كل العوائق التي قد تظهر أمامها ، كانت تعرف في داخلها أن الطريق أمامها لن يكون خاليًا من الصعوبات لكن شعورها بالسلام الداخلي كان يؤكد لها أنه مهما كانت الصعوبات ، فإنها ستكون قادرة على عبورها.

وبينما كانت تبتعد عن المكان استشعرت أن هناك شيئًا كبيرًا في انتظاراها.

***

الفصل العشرون

اللحظة الأخيرة

مع مرور الأيام ، كانت ليان تشعر بأن حياتها قد اكتسبت بُعدًا آخر ، كل تجربة كل كلمة وكل لحظة قادتها إلى المكان الذي كانت فيه الآن ، كان الأمر كما لو أنها أصبحت جزءًا من شيء أكبر منها شيء كان يتجاوز حدود الزمن والمكان أحيانًا كانت تشعر وكأنها تعيش في حلمٍ طويل حيث لا نهاية له ولا بداية واضحة ولكنها لم تعد تخشى ذلك ، بل أصبحت ترى في هذا التيه حريتها.

مرت بها لحظات عديدة في الأيام الأخيرة كلها كانت تتدفق مثل نهرٍ هادئ ومع كل لحظة كانت تزداد فيها يقينًا أن

الماضي لم يكن سوى جزء من رحلتها وأنها الآن مستعدة للإبحار في مياه جديدة بعيدًا عن كل التوقعات القديمة.

في أحد الأيام قررت ليان أن تذهب إلى مكان كانت قد زارته في البداية ، عندما بدأت رحلتها في البحث عن ذاتها ، كان هذا المكان يحمل لها ذكريات كثيرة ولكنها الآن كانت ترى تلك الذكريات بطريقة مختلفة ، لم تكن تلك الذكريات تزعجها كما كانت في السابق بل كانت جزءًا من فصول كتابها الذي قرأته بكل تفاصيله ، وكانت تعلم أنه حان الوقت لتكتب الفصول الأخيرة.

عندما دخلت إلى المكان الذي كانت قد أحبته سابقًا ، شعرت بشيء غريب ، لم

يكن ذلك المكان كما كانت تتذكره ، كل زاوية ، كل رائحة ، وكل لمسة كانت تبدو كما لو أنها جزء من تاريخها الذي انفصلت عنه الآن ، كانت هناك واقفة أمامه ولكنها كانت تدرك أنها لم تعد الشخص نفسه الذي دخل إليه في البداية كانت ليان الجديدة تلك التي تحررت من قيود الماضي ، تحررت من شكوكها وأخذت تعانق كل جزء منها.

ثم جاء الصوت الذي كان دائمًا يشع من داخلها ، هذا الصوت الذي كان يعبر عن كل ما كانت تحاول أن تنقله في كل خطوة ، كانت الكلمات التي قالتها لنفسها في تلك اللحظات من تأملها أكثر وضوحًا الآن.

"أنا لست ضائعة ، لم أكن أبدًا ، كنت أبحث فقط عن نفسي."

ولكن الآن لم تكن مجرد كلمات ، كانت حقيقة ، كانت هي نفسها ، في جميع أبعادها ، بشجاعة وحكمة كانت قد قبلت كل شيء في داخلها ، من الجمال إلى الألم ، من الخوف إلى الأمل وكل جزء فيها كان يتناغم مع الآخر بشكل طبيعي كانت قد تحررت من الحاجة إلى التصالح مع الماضي أو المستقبل لأن كل لحظة كانت تدور حول الحضور الكامل في الذات.

فجأة سمعت صوتًا غير بعيد عنها كانت تلك اللحظة التي كانت تنتظرها والتي كانت تذكرها بكل شيء مرَّ بها ، لم يكن

صوتًا بشريًا بل كان الصوت الذي طالما كان في انتظارها ، في تلك اللحظة وقفت هناك ، وصوتها الداخلي يهمس لها :

-أنتِ هنا والآن ، وكل شيء على ما يرام."

وفي اللحظة التي شعرت فيها بأنها قد وصلت إلى أقصى حدود فهمها لذاتها اقتربت خطوة جديدة من الباب الذي طالما كان ينتظرها ، الباب الذي كان يتضمن حريتها ، الذي كان يغلق خلفه كل ما هو قديم ، كل ما كان يشدها إلى الوراء ، كانت قد وصلت إلى الفصل الأخير من روايتها ، إلى اللحظة التي ستكتمل فيها الصورة.

بينما كانت تقف أمام ذلك الباب ، شعرت بأنها في النهاية قد عثرت على جوابها كانت قد عثرت على نفسها ، والآن هي مستعدة لتعيش حياتها بكل ما فيها ، بكل قوتها وبكل ضعفها ، بكل جمالها وبكل تحدياتها .. كانت تعلم أن الحياة ليست دائمًا سهلة لكنها كانت على استعداد لمواجهتها متقبلةً نفسها بكل ملامحها ثم فتحت الباب وبخطوةٍ واثقة دخلت إلى الحياة الجديدة التي كانت قد صنعتها بنفسها.

***